روايات عبير ٢٠٠٠

تأليف
جنيفر ويليامز

الأحلام المحطمة

ترجمة
ليديا البريدي

WWW.REWITY.COM
مرمورية

دار الكتاب العربي
دمشق القاهرة

« الأحلام المحطمة »

جنيفر وليامز

« عندما أقرر الزواج سأختار رجلاً لا يطلب مني أن أكون بانتظاره على قدم وساق لأرى طلباته » .

لم يقل أحد لآنا إن الزواج من ماثيو تينانت الذي يعمل لصالح شركة بارات للنفط سيكون سهلاً .

خاصة بوجود ابنة خاله المغرية .

ولكن آنا كان باعتقادها أن ثقتها بحبه ستزيل كل العقوبات .

إلا أن حسابات آنا أخطأت ووجدت نفسها

تعاني من أحزان وآلام كبيرة خاصة بعد

أن فقدت طفلها الأول واجبرت على تمثيل دور

الزوجة المخدوعة .

عندها ... تقرر آنا ترك كل شيء .

الأحلام المحطمة

تأليف : جنيفر ويليامز
ترجمة : ليديا البريدى

* * *

ليس هناك من أمل لزواجنا ... فأنت لست بحاجة إلي . أعرف أنك تكره الفشل أكثر من أي شيء آخر وتركي لك قد أصاب كبرياءك .

أحكم قبضتي يديه ولبس وجهه قناعاً من الغضب العارم .

اقترب منها ، وشدها إليها ... حاولت أن تخلص نفسها إلا أن قوته كانت أكبر وتأثيره عليها كان الأقوى فأستسلمت

« ليس هناك من أمل »

ضحك بصوت منخفض بعد أن شعر باستسلامها وعدم مقاومتها .

ــ أرجوك ... أرجوك لا .... لقد انتهى كل شيء .

ــ هل تعتقدين ذلك حقاً ؟ ....

* * *

الفصل الأول

كانت الحفلة قد بدأت عندما وصلا . وعلى الرغم من ذلك استأذن مات زوجته آنا ما أن اجتاز مدخل القاعة .

ـــ عزيزتي سيغادر السيد ياميكو خلال نصف ساعة إلى المطار ولي معه حديث نهائي قبل أن يذهب . سأتركك لخمس دقائق فقط ستكونين بخير أليس كذلك ؟

كانت آنا مرتبكة وغير مرتاحة للجو العام للحفلة فالحرارة والضجة كانت تعم المكان .

ـــ ولكني لا أعرف أي من هؤلاء الناس يامات .

ظهر الغضب في عينيه الرماديتين .

ـــ بحق السماء آنا ... هاهي سارة . وأنت تعرفينها . لقد طلبت منها أن تقدمك إلى الناس . وستهتم بك .

تركها بسرعة وقبل أن يتيح لها فرصة التعقيب على كلامه .

فآخر شخص يمكن أن ترغب في الحديث إليه هو سارة . راقبته وهو يشق طريقه عبر المدعوين يوزع ابتسامات ويتلقى التحيات . « اللعنة » تمنت لو أنها لم تأتِ

نظرت حولها ، راقبت جو الحفلة الصاخب . الأضواء متلألأة وتلقي انعكاسات مبهرة على المرايا المنتشرة هنا وهناك .

وتريد من جو البذخ ذلك الأثاث الفاخر .

كان جو القاعة خانقاً على الرغم من أجهزة التكييف . شعرت آنا بالعثيان اتجهت الى الأبواب الزجاجية التي تؤدي إلى الشرفة

ـــ آنا .. عزيزتي .. كيف أنت . (ناداها صوت نسائي عالي النبرة) التفتت آنا وقد أعدَّت بسمة مصطنعة على شفتيها لتواجه المرآة الأخرى .

ـــ أهلاً . سارا . أنا بخير . شكراً لك .

كانت إجابتها تتصف باللطف والأدب الظاهرين .

وكالعادة . كانت ابنة خال مات ترتدي أفخر الثياب . ولكن هذه المرة كانت ترتدي ثوبا أبيض من الساتان وقد فردت شعرها الأسود على ظهرها . وتحلت بجواهر براقة ابدت آنا شاحبة بجانبها خاصة بثوبها الأصفر .

نظرت إليها سارة بلا مبالاة وكأنها لايمكن أن تشكل لها أي نوع من المنافسة .

ـــ لقد فقدت الكثير من وزنك . أليس كذلك . ولكن من الطبيعي أن يحدث هذا خاصة إذا مامر الانسان بظروف مشابهة لظروفك (ابتسمت لها ابتسامة ماكرة وكلها ثقة فى جمالها) يجب أن ننادي مات

ليدلك قليلاً خاصة وأنه تركك لوحدك لم لا تقضون بعض الوقت في الشاليه الذي أملكه في ماليبو ؟ إذا أردت ذلك . ستفكر بالموضوع لابد أن مات ستعجبه الفكرة .

« أنا متأكدة من ذلك (فكرت آنا) »

ـــ من الأفضل أن تسأليه بنفسك . فلم تفكر بعد ان ستقضي اجازتنا . لقد ذكر أمامي رغبته في قضاء بعض الوقت في تسلق الصخور في كاليرنغورم .

لم تجد آنا بديلاً للذهاب إلى الشاليه الخاص بسارة وبصحبتها أيضاً إلا أول اسم تبادر إلى ذهنها . على الرغم من أنها كانت متأكدة من عدم تصديق سارة لها خاصة وأنها قالت .

ـــ تسلق الصخور . آه ياعزيزتي . أظن أن عرضي أفضل بكثير من هذا .

تعبت آنا وشعرت بالإرهاق من الاحتفاظ بتلك الابتسامة المصطنعة التي كانت تخص بها سارة . لقد كرهت منذ البداية تلك المرأة . على الرغم من ذلك فقد كانت متأكدة أن مات لن يسامحها أبداً إذا ماحظر لها التصرف بحرية ووفقاً لمشاعرها فوراً خاصة وأن الحفلة التي يقيمها خاله سنوياً على شرف كبار منفدي شركة بارات للنفط .

دارت بنظرها في القاعة بحثاً عن زوجها ولكنها لم تجده بينا بدأ القلق والانزعاج يتملكانها .

مايزال مات يتحدث الى والدي وبعض المسؤولين (مبدية اهتماماً مصطنعاً) لقد طلب مني مات أن أتولى رعايتك (أمسكت يدها) تعالي فزوجات رجال الشركة تتوقف لمقابلتك بعد طول غياب ألا تدركين أنك تثيرين الاهتمام باعزيزتي ؟ الفتاة التي استطاعت أن تقود ماتيو تينانت للوقوف أمام المذبح لعقد القران . جميعهن يشعرن بالغيرة منك ضحكت بصوت عالٍ ، بدا لآنا وكأنها تسمع تكسر الزجاج في مكان ما . على الرغم من ذلك بقيت عيناها باردتين لم تستطيعا إقناع آنا بكلماتها الصديقة . وعلى كل حال كان شعورهما متبادلاً .

لم تكن آنا تدري لماذا أتت إلى الحفلة هذه الليلة ؟

لقد تركت نفسها لمات يقنعها بالحضور على الرغم من معرفتها التامة بأنها لن تنسجم مع النوعيات التي اعتادت حضور مثل تلك الحفلات بالإضافة إلى أنه قد مرَّ ستة أشهر على انعزالها التام والناس ماانفكت تقول لها « الحياة يجب أن تستمر » .

كان تلك الزوجات التي تحدثت عنهن سارة يعرفن بعضهن البعض .

استمعت آنا إلى ثرثاراتهن بينما كانت ترشف بين الحين والآخر في كأس الشراب الذي بيدها . فعلىٰ الرغم من وجودها الى جانبهن إلا أن حدوداً واسعة كانت تفصلها عنهن حدود من صنعها هي . وعلى الرغم من أنها بلا شك كانت مصدر اهتمام الجميع أليست هي زوجة ماتيو تينانت ؟

شاهدت الفضول في أعينهن ولم تستغرب عندما قالت احداهن

ــ حزنا جميعاً لدى سماعنا خبر ...

اخفضت المرأة صوتها ولم تكمل حديثها وحاولت إبعاد نظرها عن آنا .

تنهدت سارة بصوت عالٍ

ــ بحق السماء يا إيريس ...

نظرت ايريس باعتذار إلىٰ آنا

ــ آه .. أنا آسفة لذكر ذلك . لم أقصد إزعاجك .

رأت آنا ارتباكها فأشفقت عليها

ــ لا بأس (وألقت نظرة حادة إلى سارة . تساءلت ماهو الموضوع الذي فتحته معهن لكي ينشغلن عنها فيما بعد)

فكرت ؛ الثياب ؟ صالون الشعر ؟ الطعام ؟ أو أنهن بدأن الحديث عن الشركة . بدا لها وكأنهن لايتصفن بأية صفة ماعدا زوجات المسؤولين بالشركة .

انتبهت آنا إلى أنه كان من الممكن أن تكون واحدة منهن فيما إذا عملت وتصرفت كما كان يرغب مات . ولكن هذا ماكانت ترغب في القيام به في البداية « تنفيذ رغباته » أما الآن فلا . لقد مضىٰ وقت طويل على هذا الكلام .

اكتنف الصمت المكان لأن ظهور السيد جيمس واتجاهه إليهن .

هرعت إليه سارة واضعة يدها تحت ذراعه

ـــ أبي ... تعال وألقِ التحية على آنا لقد نجح « مات » أخيراً في إخراجها من قوقعتها .

ارتبكت آنا إلى رؤية نظرة السيد جيمس الناقدة . كان السيد جيمس رجلاً طويلاً وشديد الجاذبية . طبعاً هذا إذا لم نأخذ بعين الاعتبار أو تجاهلنا سمعته السيئة وبرودة عينيه الرماديتين

ـــ جميل أن تعودي إلينا من جديد آنا خذها بعيداً عن مجموعة الزوجات . تبدين أفضل من ذي قبل .

ـــ شكراً لك . (أجابته وهي غير قادرة على قول أي شيء آخر)

فآخر مرة رأته فيها كان إثر خروجها من المستشفى . أتى لزيارتها لمدة خمس دقائق وانصرف .

ـــ كما قلت لماتيو وقتها . أفضل شيء لكِ هو نسيان تلك الفترة التعيسة والبدء من جديد . فكلاكما شاب وليس من سبب يمنعكما من إنجاب أطفال أصحاء .

كان كمن يقول لشخص فقد كلباً عزيزاً عليه اذهب واشترِ غيره فكرت آنا . لم تجبه إلا أنها لاحظت نظرة السخرية التي كانت سارا تحد جهابها .

ـــ كما تعلمين (تابع السيد جيمس) أحب أن أعتبر شركة بارات كعائلة . فالشخص العادي يجب أن يضع ثقته فيناوني منتجاتنا . وأود أن يكون لكل مسؤول فيها حياة عائلية ناجحة زوجة وأطفال . « الأطفال هم المستقبل آنا . هل أدركت ماأعني ؟

ابتسمت له ابتسامة باهتة . كانت قد سمعت مثل تلك الكلمات من قبل لكنها أجابته قائلة :

ـــ ولكن ذلك سيد بارات ليس بالسهولة التي تتصورها .

ـــ هراء ... فإنجاب الأطفال مسألة في غاية السهولة وهي مسألة بيولوجية مضمونة . فكري بإيجابية ياآنا . لقد تكلمت لتوي مع ماتيو والباقي عليكِ أنتِ

ألقها تلك الكلمات القاسية وانصرف عنها .

كانت مجموعة الزوجات يناقشن موضوع المطعم الفرنسي الحديث ارتاحت لذلك . خاصة وأنه أصبح من السهل عليها الانسحاب من المجموعة بدون أن يلاحظها أحد . وصلت الى الباب المؤدي إلى الشرفة . وانسلت الى الخارج حيث الليلة الحارة المظلمة .

كانت الشرفة واسعة وفيها الكثيرون الخصوصيون . حمدت ربها أنه لم يخطر لأحد غيرها أن يأخذ قسطاً من الراحة في الشرفة . شعرت بالسرور تمكنها من قضاء ولو دقائق لوحدها وفي ذلك السكون .

لقد أصرَّ مات على مجيئها معه هذه الليلة . قال لها إن مجيئها سيعمل « خطوة أخرى الى الأمام » كانت الأولى

ـــ أي الخطوة الأولى ـــ عندما وافقت على اصطحابه الى نيويورك وكان ذلك لصالح اعمال الشركة . لم تكن في حينها لديها أية رغبة في الذهاب بل كانت تفضل لو تقبها في لندن لوحدها وبدون أن تضطر إلى مشاهدة أحد أو التكلم مع أحد .

أغمضت عينيها في محاولة لإراحة أعصابها أزاحت شعرها الكستنائي عن جبهتها وأخذت رأسها الى الوراء لتستنشق الهواء . كانت الليلة باردة والحشرات الليلية تضرب بأجسامها على النوافذ المضاءة . في محاولة يائسة للدخول إلى النور . شعرت بنفسها مثل تلك الحشرات في داخلها رغبة قاتلة لمغادرة ذلك المكان المظلم واستعادة الضوء والمرح اللذين كانت تتمتع بها في يوم من الأيام .

سمعت أصواتاً قادمة ميزت منها صوت كعب حذاء نسائي وضحكات أشخاص خرجوا لتوهم الى الشرفة . حاولت جاهدة الالتصاق بالعمود لئلا يراها أحد وتضطر إلى التحدث إليه وتفسير سبب وجودها بمفردها في العتمة .

تأخرت كثيراً في تمييز صوت سارا وضحكتها . سارا ومات كان صوته منخفضاً . سارت الى حافة الشرفة وبدون أن يلاحظها أحد نعم

وثوبها الضيق حتى ليخيل للناظر إليها أنه ليس ثوباً عادياً .

بألم وحزن راقبتهما آنا وهما يتهامسان ويضحكان معاً التصقت به سارا ووضع مات يديه على ذراعيها .

راقبت آنا المشهد بقلب مجروح وحبست أنفاسها . بعد ذلك لم تعد تدري ماحصل لها . فقد رحبت بذلك السواد الذي اجتاح عقلها ثم أخذت تداعب النوم بغيظ لما رأته من منظر سارا مع مات ثم الى مات بعد استيقاظها وسألها :

ـــ هل تعتقدين أنه بإمكانك السير

لم تنتظر حتى يساعدها على النهوض . أنزلت قدميها الى الأرض وحاولت النهوض . مدَّ إليها يده لمساعدتها إلا أنها أزاحتها بقوة رافضة حتى ملامسته .

التقطت حقيبتها واتجهت إلى طاولة الزينة . نظرت إلى نفسها في المرآة . كان وجهها شاحباً . عيناها زراقاوتين واسعتين . قارنت نفسها بسارا إلا أنها خسرت تلك المقارنة فلم تكن لصالحها في شيء . أخيراً سرحت شعرها وانتهت .

ـــ هل أنت جاهزة (سألها مات بصبر نافذ . أغلقت حقيبتها واتجهها إلى الباب)

اقتربت منها سارا

ـ أظن أنه عليك تناول المشروب بكثير من الماء ياعزيزتي (ضحكت بصوت عال) لايمكن أن تذهبا بهذه السرعة

ـ آنا ليست على مايرام . اعتذري من والدكِ بالنيابة عنا ياسارا . عليَّ أن آخذ آنا إلى البيت .

قال كلماته تلك وكأنها حقيبة أو شيء من هذا » . شعرت آنا بالحزن خلصت ذراعها من يده لتسير دون مساعدته .

ـ بالطبع .... مسكينه آنا (تنهدت وأضافت بنعومة) ومسكين مات أيضاً .

كانا ينزلان في إحدى شقق الشركة وفي نفس البناء الذي يقام فيه الحفل . دخلت آنا المصعد وحاولت أن تخلق مسافة لابأس بها بينها وبين مات . انتابها الصمت الكامل أثناء صعودهما إلى شقتهما . وعلى الرغم من أنها لم تكن تنظر إليه إلا أنها كانت متأكدة من أنه كان يحدق فيها ومتأكدة أيضا من أنها ستشاهد فيهما علامات الغضب فيما لو رفعت نظرها إلى عينيه .

اتجهت مباشرة ما أن دخلا الى الشقة إلى غرفتها .

وبدون أن تبنس بكلمة واحدة . في تلك اللحظة كانت تكره سارا وتكره مات وتكره نفسها أيضاً

ولكنها لم تكن تريد أن تظهر ذلك . حفاظاً على مات .

لماذا كانت تصر على الحفاظ على ذلك الزواج الذي يحتضر يوماً بعد يوم ؟

لماذا لا تواقبها الشجاعة وتخلص نفسها من كل هذا ؟

بدأت تخلع ملابسها ثم اتجهت إلى المرآة لتزيل آثار المكياج . نظرت الى عينيها ، كانتا واسعتين يحيط بهما هالتان من التعب والقلق بدا وجهها شاحباً وكان ناعما . يطفي صفاؤه عليها براءة ونعومة . اتجهت بنظرها إلى العقد الناعم الذي كان يحيط برقبتها . تذكرت اللحظات التي أهداها اياه ذلك العقد كان ذلك ليلة زواجهما .

ابتسمت بنعومة متذكرة تلك الأيام السعيدة . كيف كانا يحبان بعضهما . بدا لها ذلك الوقت وكأن الحب كله قد مُنح لها . كانت حينها تشعر بالقوة والثقة .

انفتح الباب ودخل مات إلى غرفتها . نظرت إليه عبر المرآة . كان قد أخذ دشاً واستعاد نشاطه

توترت اعصاب آن فجأة وتلاحقت أنفاسها . نظرت إليه وقد وقف وراءها تماماً . أزاحت نظرها عنه سألته :

ـ هل تريد شيئاً ؟

ـ نعم ... تمتم بصوت واثق ... أريدك أنت .. لقد ابعدتني عن حياتك بما فيه الكفاية ولست على استعداد للصبر أكثر من ذلك .

ـ أرجوك يامات .

حاولت أن تقاومه ولكن لم تكن لديها القوة الكافية لذلك حاولت استرجاع ذكرى لقائه مع سارا على الشرفة منذ قليل ... الا أن محاولاتها ذهبت سدىً ....

لا .. لن تستطيع مقاومته فهي تحبه على كل حال .

استيقظت آنا لتجد أن مات قد ترك الغرفة مبكرا . فنهضت ونظرت إلى نفسها بالمرآة ... كان جسمها مايزال نحيفاً وذلك من تأثير الأزمة التي مرت بها منذ أشهر .

ابتعدت عن المرآة ارتدت ثيابها واتجهت إلى المطبخ . حيث استنشقت رائحة الخبز المحمص والقهوة . رأت مات بجانب الموقد يحضر للأفطار . وقد ارتدت ثياب المكتب واستعد للذهاب إلى العمل . بدا لها أنيقاً رياضياً يمتلىء حيوية ونشاطاً .

انتبه لوجودها

ـــ صباح الخير ... هل نمتِ جيداً .

شعرت آنا فجأة بالخجل . وكأنها امام إنسان غريب .

ـــ نعم شكراً لك .

نظر إلى عينيها وتنهد قائلاً :

ـــ لمَ هذه الرسمية ؟ اهدئي آنا أرجوك .

شعرت بالغضب ... ماذا يريد منها بحق السماء . لقد مضىٰ على زواجهما أكثر من السنة والنصف كانا خلالها قريبين من بعضهما كانت

تستطيع قراءة أفكاره ... مرا بأوقات تعطلت لديهما لغة الكلام ولم تعد الكلمات ضرورية للتفاهم أما الآن ... فلقد أسدل كل منهما ستاراً امام الآخر لم يعد الواحد منهما يفهم الآخر . صحيح أنهما قضيا الليلة الماضية معاً الا انها لم تكن لديها ما تقوله له .

ـــ اجلسي وتناولي طعامك .

شعرت بالغثيان لدىٰ مشاهدتها للطعام

ـــ لمَ تفعل هذا ... أنت تعرف أنني لا أتناول الطعام في الصباح .

ـــ اذن ... تناولي القهوة .

ـــ شكراً .

صبت لنفسها كوباً من القهوة ... سارعت الى ضم القهوة بين يديها علها تدفىء أصابعها الباردة .

ـــ كيف تشعرين ؟ (سألها ناظراً في عينيها) .

ارتفع نبضها تذكرت استجابتها له ولعاطفته . تذكرت عدم قدرتها على السيطرة على عاطفتها في الليلة الماضية .

اقترب منها واضعاً يده فوق يدها المرتعشة .

ـــ لاتبعدي نظرك عني ... آنا . لاتخجلي من استجابتك لعاطفتك وحبك ... لم تكوني لتخجلي من قبل .

ـــ لم أكن من قبل هكذا في كثير من الأشياء ليس هذا فقط ولكن الظروف تغير الناس أليس كذلك يامات ؟

WWW.REWITY.COM

ابعد نظره عنها قائلاً :

ـــ فقط اذا تركتِ لهذه الظروف أن تفعل ذلك .

ـــ ماذا تريد مني .. ؟ هل تريدني أن أكون الزوجة الضعيفة المستسلمة بينما زوجها يلهو هنا وهناك .

هزت رأسها غير مصدقة . تابعت :

ـــ يالإلهي أنت تدهشني حقا . تتصرف وكأن عدم الإخلاص مسألة سهلة .

لم تكن تقصد أن تقول ماقالت . ولكن الكلمات خرجت بدون إرادة منها خرجت كأحجار شكلت جداراً صلباً بينها وبين دفع كرسيه ونهض قائلاً :

ـــ اذن نعود إلى القصة ذاتها .. أليس كذلك ؟

كان يجب أن أعلم ذلك . يبدو لي وكأنك تريدين هدم زواجنا بأي طريقة .

ـــ هل تضع اللوم عليَّ الآن (اشتعلت غضباً) كيف لك أن تفعل ذلك . كيف تجرؤ ؟

نظر إليها بدون أن يقول كلمة وكأنه كان يقاوم الغضب الذي كان يشعر به .

ـــ أنت لا تتحدثين إلي آنا . فقط تبعديني عنك .

نظرت إليه وإلى الحزن الظاهر في عينيه

ـــ لم أستطع ... لا أستطيع ...

ـــ ولكن ألا ترين معي أنه علينا أن نتحدث (أصبح صوته ناعماً حنوناً) علينا أن نتحدث في وقت ما ... فلا يمكننا أن نستمر هكذا . لقد مرت ستة أشهر ... اللعنة .

بدأت آنا بالبكاء الصامت .

ـــ يالإلهي ... لا أريد المزيد من الدموع ... أرجوكِ

مسحت دموعها بيد مرتجفة .

ـــ ... أنا آسفة .. آسفة جداً .

مسح مات بيده على شعره بيأس

ـــ اعتقدت أنها أصبحت أفضل ... لقد أخبرت الطبيب أنك كفيت عن البكاء

ـــ لقد كنت ترصد حالتي .. أليس كذلك ... اليوم ضحكت آنا مرتين أو اليوم لم تبكي آنا إلا بعد الفداء .

ـــ لا تكوني سخيفة ... بالطبع لم أكن آخذ مثل هذه الملاحظات كنت أعتقد أنك سيطرتِ على نفسكِ ...

هذا كل شيء .

ـــ كيف يمكنك أن تتحدث بهذه الطريقة (ارتفع الغضب إلى عينيها) .

أنا أكرهك ... أكرهك .

لم تعد آنا تستطيع أن تخفي غضبها وحزنها

ـــ آنا ... آنا ... آنا آسف (ركع الى جانبها وقال لها أرجوكِ آنا ... توقفي عن البكاء آنا آسف لامس شعرها بشفتيه ومسح دموعها بمنديل سحبه من جيبه ما أن فعل ذلك حتى وقع شيء لامع من جيبه

حدقت فيه آنا وتعرفت على القرط الذي كانت تلبسه سارا بالأمس .

راقبت مات وهو يلتقطه ويضعه مرة أخرى في جيبه

ـــ انه لسارا ... قال بعدم اهتمام ... لقد انكسر وعرضتُ أن أصلحه لها هذا الصباح .

تذكرت آنا تلك الليلة الحارة وصورة مات وسارا يتعانقان على الشرفة وصوت ضحكهما . أظافر سارا الحمراء على وجه مات ... شعرت مرة أخرى بالغثيان والحزن والكره معاً

ـــ لقد شاهدتك تقبلها ... لقد رأيتك بالأمس

(ضربت بيديها على صدره)

ـــ اهدئي آنا ... ستستفزين نفسك بهذه الطريقة

ـــ دعك مني إني أكرهك

حاولت أن تنهض وتترك المكان .... لم يجد مات بدا من تركها تتصرف كما يحلو لها

ـــ لقد سئمت من هذا ... عليك ببعض الحبوب واستلقِ قليلاً .

ـــ لا أريد أن آخذ أية حبوب لقد أخذت الكثير منها ...

وعلى كل حال هذا ماتريده . أليس كذلك ؟ أن تجعل آنا هادئة ومستكينة وهكذا تستطيع أن تلهو مع سارا كما يحلو لك .

ـــ بحق السماء ... كفى ... كفى .

ـــ أنا موافقة ... كفى بالنسبة لك ولي تعني النهاية ـــ حيث إنهما زوجان

ـــ ماذا تعنين ؟

ـــ أعني ... أنني سأترك هذا المكان . سأخرج من حياتك . وأريد الطلاق .

لم تعد تستطيع فعل شيء لقد أخرجت كل مايثير قلقها وحزنها وغضبها ... مكثت صامتة وهي تراقب عينيه اللتين تتحولان الى شعلتين من الغضب .

حدق فيها لفترة ثم قال :

ـــ بعد ليلة البارحة ؟

ـــ خاصة بعد تلك الليلة ... لم يبقَ شيء ألا ترىٰ ذلك ؟

ـــ لم يبقَ شيء ؟ هل كان كل شيء تمثيلاً ... هل كان تمثيلاً ؟ هل تسمين انسجامنا مع بعض وحبنا لبعض تمثيلاً ؟

ـــ لا ... لم أكن أمثل وأنت تعرف ذلك . ولكن ذلك الانسجام

WWW.REWITY.COM

هو كل ماتبقىٰ وهو ليس كافياً . والزواج الناجح بحاجة إلى أكثر من هذا .

ـــ هل تعتقدين أنني لا أعرف ذلك ؟

ـــ أنا لا أدري ما الذي تعتقده . لم أعد أدري كيف تفكر . لم نعد كما كنا من قبل ... اذن لا جدوىٰ من بقائنا مع بعض

ـــ آنا .. أنت متعبة ... ستجدين أنك مخطئة إذا مافكرت بصفاء ... خذي وقتك وفكري

ـــ لقد بما فيه الكفاية ... خاصة الساعات والأيام التي أقضيها لوحدي . وعندما تكون بعيداً في عملك هنا وهناك أو أثناء عملك مع سارا حتى ساعة متأخرة من الليل تذكر ؟

لم يجد كلمات مناسبة للرد على كلماتها . تابعت آنا

ـــ لم أعد أستطيع الاستمرار بهذه الطريقة ... أنت وسارا والشركة ....

ـــ الشركة ؟ ... أنا أعمل من أجل الشركة آنا .. يجب أن أكسب عيشنا ولا أعتقد أنك تنكرين الآن الراحة التي أقدمها لك من عملي . كل الثياب والمجوهرات والسفر إلى الخارج ...

ـــ لاتتجاهل أنت تعرف ماذا أقصد

ـــ لا ... لا أعرف . يمكنك أن تخبريني أنتِ .

ـــ حسناً ... سأفعل ... أعني نفاق الناس الذين نقابلهم كل يوم

في الحفلات والمناسبات التافهة . والذين نضطر إلى الاختلاط بهم . أولئك الناس الذين لايتوانون عن التنازل عن أي شيء لقاء أطماعهم والمكاسب التي يودون الحصول عليها

ـــ هل تقترحين أن ... ؟

ـــ إذا كنت تستطيع .

ـــ أنا لايلزمني مثل هذه الاساليب لأصل . أنا أحصل على ماأريد بقدراتي وإمكاناتي . وعملي لايستطيع أن يقوم به أي انسان آخر بنفس الكفاءة .

ـــ طبعاً بالإضافة إلى أنك قريب رئيس الأمناء في الشركة .

ابتعد مات عنها يائساً .

ـــ لقد تكلمنا في هذا بما فيه الكفاية (ارتدى سترته ونظر الى ساعته) لايّ موعد بعد نصف الساعة واذا لم أخرج الآن سأتأخر عن الموعد ... استريحي قليلاً وعندما سأعود في المساء سنتحدث عن ذلك بهدوء وعقلانية أكثر . اتفقنا ؟ لم ترد عليه ... لم يكن هناك من حاجة كذلك لأنها وببساطة لن تكون في البيت عند عودته .

فتحت الأبواب وخرجت آنا من صالة الجمارك ، ودخلت الى منطقة الوصول في مطار غيتويك . بدت اصغر بكثير من سنواتها الثلاثة والعشرين خاصة بثيابها البسيطة المؤلفة من الجينز والتي شيرت .

ترددت قليلاً وقد دخلت ضمن الحشود . فكرت ، ماذا جرى لها ؟ وماذا تفعل بمفردها في ذلك المكان و

فالغضب والحزن اللذان دمغاها الى مغادرة نيويورك والعودة إلى الوطن قد خبأ وهجهما الآن قليلاً . ولم يعد في تفكيرها إلا موقف مات وهو يعود الى الشقة ليفاجأ بتركها له .

هل سيقود سيارته الى المطار آملاً في إيقاف سفرها ؟

ولكن لا ... لقد قال لها يوماً إنه لم يركض في حياته وراء أي إمرأة . ولكن آنا ليست كأي إمرأة ، إنها زوجته وهذا يشكل اختلافاً ما ... أليس كذلك ؟

هذا مافكرت فيه آنا . ولكن الحقيقة أين ؟ وماهي ...؟

رفعت كتفيها وطردت هذه الفكرة . فما يفعله مات أو ما لم يفعله . لم يعد يثير لديها أي اهتمام .

امتلأت قاعات الوصول بالناس وازداد شعور آنا بالوحدة وبالحرارة . كانت حقيبتها تثقل كاهلها ، على الرغم من أنها لم تكن تحتوي الكثير من الثياب .... كانت في عجلة من أمرها وتواقة الى ترك المكان والهرب من الألم الذي يسببه وجودها فيه كما كانت تعتقد بعدم حب مات لها .

إلا أنها كان يجب ؟ ما تفهم أن ذلك الألم كان جزءاً من حياتها الفارغة إلا من وجود مات فيها .

شعرت بيد تلمس ذراعها . وصوت ينادي باسمها .

استدارت لتفاجأ بوجه السائق الذي يعمل لدى والدة مات حاولت أن تردله ابتسامته

ـــ أهلاً . بوتلين . لم أتوقع أن يقابلني أحد .

ـــ لقد اتصل السيد ماتيو وطلب مني رعايتك حتى وصولك إلى آشلي بارك بسلام .

لا مجال فكرت آنا ... لقد اتصل مات وهذا يعني أنه قد عرف بتركها للبيت .

ـــ شكراً على كل حال (قالت ببرود) ولكن لن أذهب إلى آشلي بارك . سأتوقف قليلاً في لندن . بعد ذلك سأذهب الى الكوخ لآخذ بعض الأشياء ومن ثم سأذهب إلى بيتي لفترة عند جدتي

كانت مستغربة من نفسها ومن عدم مبالاتها وهي تقول له هذه الكلمات :

ـــ البيت ياسيدتي ؟

ـــ نعم .. إلى يورك شاير .

ـــ حسناً سيدتي .

ساعدها في حمل الحقيبة واتجها الى خارج قاعة الوصول وماذا بعد ؟ ... فكرت آنا .. نصف ساعة ولن تكون بحاجة إلى رؤيته مرة أخرى . كانت تتمنى لو أنها لاترى أياً من عائلة زوجها ... والدته . أخواته التافهات والعمات الكثيرات العدد . الأعمام والأخوال وأولاد

الأعمام والأخوال والذين نظروا إليها بدهشة عندما رآوها للمرة الأولى أو عرفوا أنها العروس المختارة من قبل مات . طبعاً جميعهم أخفوا عدم تقديرهم لها بابتسامات مصطنعة واهتمام زائف .

في حينها لم تعرْ بكل هذا أي اهتمام . لأن مات كان يحبها ، لدرجة أنها وجدت قساوة والدته نكتة كبيرة . فحبه ونكاته حمت آنا من الحياة القاسية التي كانت بانتظارها . على الرغم من أنها في ذلك الوقت لم تكن بحاجة إلى أية حماية . فقد كانت قوية ، مليئة بالثقة بالنفس في نفسها وفي حبها .

بدا لها ذلك الوقت بعيداً تفصلها عنه سنوات طويلة . نظرت من نافذة السيارة وحدقت طويلاً في المناظر المتلاحقة للريف الانجليزي الأخضر . أغمضت عينيها متعبة . كم ليلة مضت عليها لم تذق فيها طعم النوم المريح ؟ ستة أشهر . ستة أشهر من الشقاء والألم على ما فقدت ....

طفلها ... بل طفلهما .... كان من المفترض أن يكون في شهره السادس لو لم يخطفه الموت فور ولادته . مازالت ذراعاها تشتاقان لحمله مازالت عيناها تبكيان فقدانه

« ضعف في القلب » هكذا قيل لها ....

لقد حملته قبل وفاته بين ذراعيها . ونظرت إلى وجهه الشبيه بوجه مات .... شعرت بدفئه إلى جانب قلبها . ضمته إلى صدرها كثيراً علّها تحميه من أي شيء . ولكن ....

أعطيت لها الكثير من العقاقير والأدوية لتهدئة أعصابها ولكنها بقيت كما هي . رفضت أن تتناول أي شيء لكي لاتنسى انها فقدت ابنها وكأن شيئاً لم يكن . لقد عاش ابنها . شعرت به ينمو داخلها . أصبح جزءاً منها أما التأقلم مع فكرة موته فلا يحتاج الى أية عقاقير .

أوصلها السائق الى البيت الريفي الصغير الذي قضت فيه مع مات أحلى الأيام منذ زواجهما .... أحبت آنا كثيراً ذلك البيت بأثاثه القديم وسجادته البيضاء والستائر الخضراء . والنباتات الخضراء الموزعة هنا وهناك . حتى وكأنها يمكن أن تشعر المرء أنه داخل بستان .... لابد وأنها ستشتاق لهذا المكان وستفتقده ولكن ما الحل ولم يعد هذا من حقها .

صعدت آنا الدرج ببطء الى غرفة النوم . تحسست بيدها بنعومة على غطاء السرير وعلى منضدة الزينة الخاصة بها حملت صورة مات التي تطل عليها من خلال الاطار الفضي .

نظرت مطولاً الى الرجل الذي تزوجته والذي عاشت معه سنة ونصفاً . ركزت على وجناته العالية وذقنه الصارمة وبسمته الغامضة والى نظرته الحادة .

ارتعشت آنا ... شعرت بوجوده معها في الغرفة ... الغرفة التي قضوا فيها اسعد أيام حياتهما . والتي مايزال يعبق في جوانبها رائحة عطره ... تصاعدت الدموع إلى عينيها . ضمت جسمها بذراعيها ... أغمضت

عينيها بقوة عليها تطرد تلك الذكريات السعيدة والتي تسبب لها الآن في الكثير من الألم .

استلقت على السرير ، دفنت وجهها في وسادته .

واستنشقت رائحة زوجها واسترجعت بطيب خاطر لقاءها الأول بمات .

الفصل الثاني

بعد ذلك . اعترفت آنا أنه لولا ويبستر قط جدتها لما كانت التقت بمات أبداً . ولولا أن ويبستر لم يخطر بباله التجول في ذلك اليوم من أيام حزيران ولولا أنها لم تذهب للبحث عنه ودخلت أملاك كروس وايت لما كانت التقت بمات .

كانت تلك الأملاك قد احترقت منذ مدة طويلة وتم تصويرها منعاً من دخول المتطفلين ، ولكن آنا كانت تعرف المخابىء السرية الصغيرة والتي يمكن للقط أن يختبىء بها أو يدخل إليها . بالإضافة إلى أنها كانت معتادة على التجول في ذلك المكان المهجور القديم .

نادت على القط وهي تدخل المكان .

صعدت الدرجات المتكسرة ومن ثم دخلت إلى المدخل واختلست نظرة إلى الداخل ، لابد أن المكان كان في يوم من الأيام من الأماكن الفاخرة ويسكنه أناس أغنياء ميسورون .

رأت قطاً ولكنه لم يكن ويبستر ، كان ينظر إليها بفضول من وراء عمود يتوسط القاعة . ماكادت تتخطى المدخل حتى سمعت صوتاً وراءها يقول :

WWW.REWITY.COM

ـــ ماذا تعتقد بأنك فاعل أيها الفتىٰ ؟ اخرج من هنا وحالاً !!!

اختفى القط لدى سماعه لصوت الرجل وتجمدت آنا من المفاجأة . كان للصوت نبرة من السيطرة . استدارت ببطء وقد شعرت بتشبع في كتفيها من الدهشة والترقب . ولكنها على كل حال لم تفعل حتى الآن مايسيء لأحد .

رأت رجلاً يقف في نهاية الدرجات وقد وضع يديه على رجله .

كان ينقل نظره من الأعلى إلى الأسفل . نظرت آنا إلى ملابسه البسيطة والتي أعطته المظهر القاسي في نفس الوقت .

انتقلت بنظرها الى شعره الأسود وعيناه الرماديتان الحادتان .

شعرت بنفسها ترتعش تحت تلك النظرات النفاذه .

ابتسم إليها أخيراً قائلاً :

ـــ أنت فتاة . (كان مندهشاً) تابع قائلاً :

ـــ حسناً من النظرة الأولى اعتقدت أنكِ فتىٰ خاصة وأنت ترتدين هذه الملابس وشعرك القصير ولكني مخطيء . على كل الأحوال فليس هناك من فتى يتمتع بمثل هذا الجسم .

شعرت آنا بالأحمرار يغزو وجهها ... كان يقف قريباً منها وينظر إليها بإصرار وبوقاحة ظاهرة ... حاولت أن تتحرك أو تفعل أي شيء لصرف نظره عنها أخيرا قالت :

ـــ لا ... فقط استغربت من الوضع ... على كل حال . أسكن في نهاية هذا الطريق وأود أن أعلم ماذا يجري هنا .

ـــ وكيف دخلت إلى هنا ؟

ـــ عبر السور .

ـــ هل معك أحد ؟

لم تفكر لحظة واحدة قبل الاجابة . هزت رأسها قائلة :

ـــ لا ... كنت أبحث عن قطتي .

تنهد عالياً :

ـــ حسناً ... من الأفضل أن تدليني على المكان الذي دخلتِ منه

تأكدت آنا أنه لم يكن يصدقها ويصدق قصة القط . تبعها وهي تتجه نحو الأشجار . حيث المكان الذي شقته لنفسها لكي تدخل والذي كان ظاهراً بوضوح .

كانت حركاته خفيفة وكأنه أحد حيوانات الغابة . شعرت آنا بالخوف من قربه منها ... لنفترض أنه مجرم أو هارب من مستشفى أو مصحة للمجانين . وفي الواقع كانت لوحدها تماماً معه .

فجأة سمعته يسب ويلعن استدارت على عقبيها .. كان يفرك ذراعه من أثر الأشواك التي كانت تحيط بالمكان .

ـــ يالهي ... هذه الأشواك ... لابد وأنك اصبت بالأذى لدى دخولك إلى هنا !! .

ـــ قليلاً (أجابته) خذ هذه الورقة إنه نبات جيد لمثل هذه الحالات . افرك الأثر

ارتاحت آنا قليلاً فلا يمكن لمجرم هارب أن يتزعج من وخز شوك السياج وعلى الرغم من ذلك لم تشعر بأي تعاطف معه . بالإضافة الى أن قدمها كان يؤلمها مع كل خطوة كانت تقوم بها .

وصلا الى مكان الفجوة التي عملتها لنفسها لكي تدخل . انحنت ووضعت ركبتيها على الأرض وبدت باختراق الفجوة مرة أخرى إلى الخارج ... كانت تعلم أن وضيعتها مهينة .

حاول مجاراتها في الحركة إلا أن قميصه تمزق . وتوقف عن المحاولة مع مزيد من السب والشتم .

ـــ حسناً ... كم يوجد من أمثالك هنا ؟

ـــ ماذا تقصد بأمثالي ؟

ـــ الأولاد ... الأطفال بالطبع . أعتقد أنكم تلعبون لعبة الاختباء . أهي عطلة مدرسية .

كان يعتقد أنها طالبة في المدرسة ... أمتعتها الفكرة . كانت تبدو أصغر عمراً في الظاهرة . على الرغم من سنواتها الحادى والعشرين خاصة وهي ترتدي تلك الملابس الرياضية

لا ... لن تخذله .

ابتسمت وهزت رأسها .

ـــ لا ... لايوجد أحدٌ سواي .. قلت لك أنني أبحث عن قطتي هل تعتقد انني أتيت الى هنا للعب .

نسيت ألم كاحلها واستدانت بسرعة . فجأة أحست با يقتصرها .

ـــ دعيني ألقي نظرة على المكان (سحبها من ذراعها وأجلسها العشب بجانب الطريق

خلع عنها الحذاء وأمسك كعبها بيد وبدأ باليد الأخرى يتفحه بلطف عظام المشط .

ـــ أين تشعرين بالألم ؟

انحنت لتريه المكان ووضعت يدها عليه . فجأة غطى يدها ، الدافئة للحظات ونظر إلى عينها .

شعرت آنا بالخجل والارتباك . كان قريباً جداً منها وكان باستطا استنشاق رائحة الرجولة الصارخة فيه .

ارتعشت وتقطعت أنفاسها ... ابتسم لها لدى ملاحظته مدى ت عليها . ساعدها على النهوض .

ـــ هيا ايتها الفتاة الصغيرة ... لاتجربي هذا معي ... فآنا كبير فيه الكفاية جربي ذلك مع فتى من عمرك .

ـ ماذا تعني ؟

شعرت بالسخونة تجتاح وجهها

ـ أنت تعرفين ماأعني ... لذا تخلي عن مظهر البراءة هذا فلم يعد يؤثر في .

حدقت فيه آنا ... ماذا يعتقد ... بحق السماء . مراهقة تحال الايقاع به ... ؟ قالت بصوت عالٍ :

ـ أنت تقيم نفسك أكثر من اللازم ... من تعتقد نفسك ؟

ـ لا ... فأنا على دراية تامة بالنساء . وكيف يفكرن وهذا كل شيء .

ـ حقاً ؟ .... حسناً الحديث معك ممتع ولكن أظن أنه عليَّ الإنصراف الآن . ياسيد ... سيد ...

ـ يتنانت ... ماثيو تينانت .

ـ تشرفنا سيد تينانت . ووداعاً . (أجابته ببرود) ولكنه استوقفها ممسكاً بذراعها

ـ ولكنك لم تخبريني عن إسمك

ـ وهل هذا مهم ؟ .

ـ حسناً ... ربما يكون مهماً . (قال ضاحكاً) لقد ذكرتِ شيئاً عن قط .

كانت قد نسيت وبيستر المسكين .

ـ آه ... نعم ... إنه قط إيراني أبيض ... هل رأيت مثل هذا القط في الجوار ؟

ـ المكان مليء بالقطط . ولكني لا أستطيع أن أؤكد لك رؤيتي لقط أبيض . اسمحي لي ... فكل القطط تتشابه في نظري .

ـ حسناً ... ربما ... لمَ لا تبحث عنه ولكن قبل ذلك ارتدي نظارات .

ـ مضحك جداً ... أريد أن أسألك أيتها الصغيرة ...

هل فقدت القط منذ زمن طويل ؟

ـ ثلاثة أيام ... جدتي تكاد تفقد عقلها عليه . لم يخرج وبيستر من البيت قط من قبل .

ـ ياللسماء ... ياله من اسم يطلق على قط .

ـ لقد اطلقت جدتي عليه هذا الاسم تيمناً بالمغني وبيستر بوث . ابتسم لها مرة أخرى .

ـ على الرغم من ضيق الوقت إلا إنني سأخصص وقتاً للبحث عنه

ـ شكراً لك . هذا لطف منك . وداعاً سيد تينانت .

همت بقيادة دراجتها إلا أنه استوقفها مرة أخرى .

ـ من الأفضل أن تعطيني اسمك وعنوانك في حال وجدت القط .

WWW.RIWAYA.COM

ـــ آه ... نعم بالطبع ... أخا أدعى آخا مارشال وأعيش في لاحونة القديمة

(أشارت باتجاه نهاية الطريق حيث لاحظ المدخنة من خلال شجار)

ـــ تشرفنا آنسة مارشال . (قال بسخرية) إلى اللقاء مؤقتاً .

قادت آنا دراجتها وهي تفكر بعمق ... الرجل ... هذا السيد بينانت ... ماثيو تينانت . إنه يشكل خطراً ما ... لم تكن تدري لماذا تكرت هكذا عنه . توقعت أن يكون عمره في الثلاثينات . وبالتأكيد لا أقل من ذلك . ولديه خبرة لابأس بها ومركز مرموق وبالتأكيد لن يحصل عليها رجلٌ أصغر من ذلك .

ارتعشت لدى استرجاعها للطريقة المتعجرفة التي وقف فيها أمامها وطريقة النظر إليها

ضحكت آنا على نفسها وعلى أفكارها تلك . إلا أنها بقيت بقية اليوم تفكر في ذلك الرجل وتصغي السمع إلى جرس الباب عله يكون الطارق ماثيو تينانت .

وعندما رن الجرس أخيراً في السابعة مساءً . لم تكن بالنسبة لآنا مفاجأة أن ترى ماثيو عند الباب يحمل علبة في يده .

كانت متأكدة أنه سيأتي .

ـــ مرحباً . (قال مبتسماً) أعتقد أنني قد وجدت ويبستر .

ـــ هذا رائع ... ادخل أرجوك .

أفسحت له الطريق ودخل إلى القاعة ومن ثم إلى غرفة الجلوس حيث فتح غطاء العلبة وفي المحال انطلق ويبستر خارجها .

أخذت جدة آنا ويبستر بين ذراعيها وأطلقت صيحة ابتهاج وفرح .

ـــ أين وجدته بحق السماء ؟

ـــ بجوار منزلي يغازل قطة شديدة الجاذبية

حدقت فيه آنا قائلة :

ـــ ولكن كيف ... أنه ... أقصد عمره ... حسناً أنت تعرف أن ...

احمرت خجلاً ولم تكمل جملتها ... سمعت ضحكة ماثيو

ـــ مسكين ويبستر العجوز ... إني اشفقت عليه .

ـــ اجلس أرجوك . ياسيد ... ؟

قاطعته الجدة في محاولة لتغيير الحديث .

ـــ ماثيو تينانت

ـــ آه .. حسناً ... لقد ذكرت لي أخا عن مقابلتها لك .

أخا كان مارشال ... حسناً سيد تينانت أنا أشكر لك لطفك في ايجاد ويبستر .

ـــ ليس هناك من مشكلة فأخا مسرور لأنني استطعت أن أقدم المساعدة ... وأفضل أن تناديني بمات أرجوكِ .

ـــ بالطبع ... هل لي أن أقدم لك فنجاناً من الشاي أو القهوة .

ـــ قهوة اذا سمحت وشكراً لك .

خرجت كات لتحضير القهوة وتقديم العشاء لويستر تاركة آخا مع الضيف .

ـــ نشكرك كثيراً لأنك وجدت ويستر فجدتي كانت ستجن من القلق عليه .

ـــ لم تعجبه فكرة إحضاره إلى هنا فقد بدا سعيداً مع قطته بين الانقاض .

ـــ في عمره ... يجب أن يكون خجلاً من نفسه .

ـــ ربما كان يعوض شبابه الضائع . هذا يحدث للكثير من الناس .

ألقى نظرة خاطفة إلى ماحوله

ـــ إنه بيت قديم ولكنه جميل ... هل عشتِ هنا طويلا ؟

ـــ منذ أن كنت في السادسة من عمري . أما البيت والطاحونة المجاورة فقد مضى عليهما أكثر من ثلاثمئة عام .

قرأت على البوابة عبارة « معمل خزف » هل تضعون الأواني الخزفية .

ـــ جدتي تقوم بصنعها فترسلها إلى محلات الهدايا في يوكشير

ـــ يبدو هذا لطيفا ... أعتقد أنك ستنضمين إلى هذا العمل عند إكمالك الدراسة أليس كذلك ؟

شعرت آنا بالانزعاج وقررت تغيير الحديث .

ـــ هل صحيح إنه سيتم إعادة بناء القصر المهجور ؟

ـــ ربما ، فالشركة التي أعمل لديها تبحث عن مكان في الريف لإنشاء معمل والمكان الذي تقابلنا فيه ليس إلا مركزاً واحداً من المراكز التي يتم دراستها الآن من قبل الشركة .

ـــ معمل ؟ ولمَ ... ؟ لاتقل إنه خاص بالاختبارات على الحيوانات .... أرجوك ؟

ضحك مات عالياً وملأ الغرفة بصوته الرجولي .

ـــ لا .. لا ... ليس اختبارات على الحيوانات

ـــ إذن ماهو مجال عملك ؟

ـــ آنا ... أنا جيولوجي وأعمل لصالح شركة بارات للنفط

ـــ كنت أعتقد أن الجيولوجي يعمل بالصخور وليس بالأبنية الخاصة بأعمال النفط وماشابه ذلك .

ـــ أنا كي يقولون أعمل في أكثر من مجال وأذهب أينما سيرسلني خالي .

ـــ خالك ؟

ـــ نعم جيمس بارات .

رفعت حاجبيها استغراباً .

ـــ كم أنا متأثرة بهذه الأخبار !!!

قالت تلك الجملة بسخرية .

ـــ اعتقد أن تأثرك ليس غريباً .

استند على ظهر المقعد وأخذ وضعاً أكثر راحة . وأخذ يحدق فيها .

كان يلبس بنطلوناً من الجينز الأزرق والذي بدا مناسب لطوله وقميصا أزرق ويرفع أكمام قميصه . كانت رجولته صارخة وواضحة لدرجة أن آنا شعرت بتلاحق أنفاسها . لم تجد شيئاً تقوله ... باله من موقف مربك ولكن مثير .

أبعدت نظرها عنه ، كانت تعلم أن الحجرة قد غزت وجنتيها .

لماذا تأخرت الجدة ؟ .... لم يكن أمامها إلا الحديث عن انفسنا إلا أنها كانت متأكدة أن ذلك سيثير سخريته عليها

ـــ مررت بهذا المكان منذ أيام وتساءلت من سعيد الحظ الذي يسكن فيه ؟ .

ـــ حقاً ... ؟ هل تقطن هنا في هذه الفترة إذن ؟

ـــ نعم عند بعض الأصدقاء في ليدز

كان يبدو عليه الارتياح والارتخاء التام وربما بانتظار قيامها ببعض التعليقات أو الملاحظات . ولكنها كانت تشعر وكأن عقلها قد توقف عن التفكير والعمل لم تكن تشعر إلا بهيمنة شخصيته على الغرفة بكاملها . بعينيه ، بيسمته بيديه المستندتين باسترخاء على مسند المقعد .

فنهضت فجأة قائلة :

ـــ سأذهب للبحث عن جدتي ولأرى ماهي أخبار القهوة ؟

لدى خروجها إلى القاعة الخارجية ضغطت يديها الباردتين على خديها . تقدمت جدتها باتجاهها تحمل صينية القهوة وكعكة الشوكولا

نظرت آنا إلى الكعكة ومن ثم إلى جدتها

ـــ هذا أكثر من اللازم أليس كذلك ؟ (همست لجدتها)

ـــ يجب على الإنسان أن يكون مضيافاً . لماذا تقفين هنا على أي حال ؟

دفعت باب غرفة الجلوس وهمت بالدخول

ـــ سأذهب إلى الحمام (وأسرعت الخطى مبتعدة عن المكان)

في غرفتها ... جلست أمام المرآة وبدأت بتسريح شعرها لعنت تلك التجاعيد البسيطة فيه وبدأت بانتقاد شكلها . تمنت لو أنها كانت أكثر امتلاءً ، حاولت أن تلصق قميصها العريض على جسمها إلا أنها لم تكسب أي شيء ماعدا تأكدها من نحافة جسمها وصغره .

إذن من الأفضل أن تتركه فضفاضاً فهذا سيثير التساؤل والغموض على الأقل .

وضعت القليل من أحمر الشفاد في محاولة لتظهر أكثر اغراءً وجاذبية .

ـــ « مغرية ... لست مغرية ياآخا مارشال » .

خاطبت صورتها في المرآة ... هزت رأسها وتنبهت إلى حماقتها .

لماذا كانت مهتمة بشكلها والكيفية التي تبدو فيها امام ذلك الرجل الغريب والذي من المحتمل أنها لن تراه بعد ذلك ؟

والأغرب من ذلك كله أنه كان يعتقدها طالبة مازالت بالمدرسة .

إذن ... بعد أن سيطرت على أحاسيسها هبطت من غرفتها لتجد جدتها سعيدة وهي تحادث السيد مات تينانت .

والذي كان يلتهم القطعة الثانية من الكعكة .

صبت آنا لنفسها فنجانا من القهوة

ـــ هذه الكعكة لذيذة جداً (توجه إليها بالحديث) هل قمت بصنعها ؟

ـــ لا ... أنا لاأطبخ إلا نادراً .

ـــ إعتقدت أن الفتيات يتعلمن فن الطبخ في المدرسة .

ـــ طبعاً ولكني لم أقل أنني لا أستطيع بل لا أقوم بالطبخ إلا نادراً .

ولكن هذا لا يعني أنه عليَّ أن أطبخ فقط لكوني خلقت فتاة

ـــ ولكن ماذا سيحصل عندما تكبرين وتتزوجين ؟

ـــ عندها سأتزوج رجلاً لايتوقع مني أن أنتظره بجانب طاولة من المأكولات الشهية .

ـــ هناك أشياء لايستطيع الرجال القيام بها . كما تعرفين شخصياً ... أظن أن النساء ذهبن بعيداً في حركة التحرر .

صوبت إليه آنا نظرة قاسية . أرادت أن تقول له إنه لا يهمها رأيه في أي شيء والذي لايعدو كونه شيفونية واضحة . فهو يعتقد أن المرأة مكانها في مطبخه أو في سريره ... هكذا كان يبدو لها

ـــ سيتغير رأيك عندما تكبرين . (قال ضاحكاً)

كانت آنا تود لو تضربه ... لماذا كان له مثل ذلك التأثير عليها ؟ شعرت بكل كيانها يثور ويهتز تذكرت تلك المشاعر التي كانت تنتابها خلال حفلات أعياد الميلاد وهي صغيرة .

فهي تضاهيها إن لم تكن أكثر إثارة . تمنت لو أن مات بينانت ينصرف سريعاً . لم تكن تعجبها الطريقة التى كان ينظر إليها فيها . فقد كانت تبعث فيها عواطف غير مريحة ودفئاً ناعماً داخلها وقشعريرة في جميع أنحاء جسمها .

على كل حال . لم تكن تعجبها تلك الرسائل التي كانت تنقلها إليها عيناه ... تلك الرسائل التي كانت تقول لها إنه يعرف حقيقة مشاعرها نحوه . وحين وقف استعداداً للمغادرة فوجئت بجدتها تدعوه لتناول الغداء الأحد القادم

شكراً يسرني ذلك . (التفت إلى آنا) هل لكِ أن ترافقيني في جولة إلى الطاحونة يوم الأحد ؟

سيكون من دواعي سروري واهتمامي أن أشاهدها .

ـــ لن أكون هنا (قالت بسرعة) فيوم الأحد سيكون دوري للمكوث في المحل .

ـــ فقط حتى ساعة الغداء ياعزيزتي (أضافت كات) عليك أن تشاهد مواهب آخا في بيع التحف والهدايا يامات ربما لاحظت المحل . إنه في الشارع الرئيسي .

ـــ تقصدين المحل الصغير ذا النوافذ المقوسة ؟ كنت هناك منذ أيام أبحث عن هدية لعيد ميلاد والدتي . أليست هذه مصادفة ؟

ـــ بالفعل ... (ردت آنا بدون أدنى حماس) .

ـــ هل مضى وقت طويل على ممارستك لهذا العمل ؟

سألها والضحكة تغلب على صوته

ـــ منذ أن أتممت دراستي في العام الماضي .

ـــ هذا يعني أنك في العشرين من عمرك ؟

ـــ واحد وعشرين ... بالتحديد .

ردت عليه باقتضاب

ـــ تصوري ذلك . لم أتوقع ذلك . حسناً ... إلى اللقاء الآن آنسة مارشال .. سأتطلع لرؤيتك الأحد القادم .

ـــ لن أكون هنا (قالت بشدة)

لم يكن بنيتها أبداً أن تكون الدليلة السياحية لمات بينانت

ـــ ربما تغيرين خططك .

شعرت بشيء يرتجف داخلها ـــ اللعنة على ذلك الرجل ـــ!

لماذا يبعث فيها ذلك الشعور المزعج ؟

ـــ أشك في ذلك ... تصبح على خير سيد تينانت .

كان الهاتف يرن !!

نزعت آنا نفسها من سباتها العميق ، كان مايزال النعاس يسيطر عليها لدرجة أنها للحظات لم تستوعب المكان الذي كانت فيه . فتحت عينيها على وسعهما ونظرت بعدم فهم إلى جهاز الهاتف القريب من السرير .

ـــ نعم .. ؟

خرجت الكلمة جافة وغريبة

ـــ آخا .. ؟

ـــ نعم (بدا صوتها أقوى الآن وتصاعدت نبضات الدم في عروقها

ـــ يبدو صوتك غريباً .. هل هناك من شيء ؟

ـــ كنت نائمة .

ـــ في النهار ؟

بدأت تتململ من حديثه . ماله دها ؟

ـــ لماذا تمكثين عندك ؟ رتبت لذهابك إلى آشلي بارك للإقامة مع والدتي حتى آتي إليك . ولقد أرسلته السيارة لك . أليس كذلك ؟ .

ـــ نعم .

ـــ إذن .. لماذا أنتَ في لندن لوحدك ياعزيزتي ؟

لم تعد آنا تستطيع أن تتحمل لهجة القلق التي كانت ظاهرة في صوته . لقد كانت تفضل غضبه ... والذي تستطيع التعامل معه .

ـــ لم أستطع مواجهة والدتك .

ـــ لا أستغرب ذلك . فأنت تستحقين الجائزة الأولى عن تصرفاتك الغبية ... لا عليك لم أقل لوالدتي أي شيء .

فقط ... أنك متعبة وتودين الإقامة عندها على بعض التغيير .

ـــ هذا شيء تشكر عليه . (قالت آنا) ولماذا هذا الاهتمام المفاجيء بمشاعري ؟

ـــ لا ... ليس لمشاعرك أي علاقة بالموضوع ياحبي . فقط أردت أن أتفادى أي إحراج في العائلة .

ـــ ولِمَ لا تقول لهم الحقيقة ؟ فلابد وأنهم سيعرفون آجلاً أم عاجلاً .

ـــ أتمنى ألا تصل الأمور إلى هذه النقطة . آنا ...

استمعي إليّ . سوف أستقل أول رحلة ذاهبة إلى لندن . ابقِ حيث أنتِ وسنتحدث كثيراً عندما أكون عندك ... اتفقنا ؟

ـــ لا ... فأنا لا أريدك أن تأتي إلى هنا (كانت ترتجف فلم تكن لديها أدنى رغبة في رؤية مات .

ـــ ماذا تعنين بهذا ؟

ـــ تماماً كما قلت ... لقد تركتك ولن أعود إليك ...

وسأعمل على رؤية المحامي للقيام باجراءات الطلاق .

كانت هناك فترة من الصمت . استمعت خلالها آنا إلى دقات قلبها المتلاحقة

ـــ هكذا وبكل بساطة ؟

ـــ نعم (قالت همساً ... ومن ثم سمعت موسيقى وشخصاً يتحدث ... لم يكن لوحده هذا ماكنت متأكدة منه .

ـــ آنا ... لا أستطيع الآن أن نتحدث أكثر من هذا . ولكن سأكون عندك في أسرع وقت ممكن وعلى أول طائرة . حتى ذلك الوقت أرجو ألا ترتكبي أية حماقة .

استمعت آنا إلى التكة التي أعلنت عن وضعه لسماعة الهاتف .

استلقت على ظهرها بهدوء وحدقت في السقف . ماذا كان يعني بقوله ألا تقوم بأي حماقة ؟

هل يعتقد أنها ستركض وترمي بنفسها في نهر التايمز أو شيء من هذا القبيل ؟

ومن هو الشخص الذي كان معه ؟

WWW.RIWAYA.COM

ربما كانت العزيزة سارا أغمضت عينيها بقوة كانت تريد أن تبعد بها عن مخيلتها بكل وسيلة

شعرت بالغيرة ... والخيبة . والفشل .

حدق مات في جهاز الهاتف لفترة وسارعت سارا إلى فتح جهاز التليفزيون .

ـــ سارا ... هل تمانعين . إذا كانت لديك الرغبة في مشاهدة التليفزيون هيا للانتقال الى غرفة أخرى ... أرجوكِ

ـــ آنا لاأريد مشاهدة التليفزيون ... كنت أريد القيام بأي شيء . أنت لاتريد التحدث إلي .

ـــ لا استطيع فلدي الكثير من الهموم والمشاغل الآن .

ـــ بحق السماء يامات ... لاتقل إن زوجتك هي سبب تلك الهموم .

نهضت من مكانها واتجهت إليه بحركة تحمل كل معاني الإغراء والإثارة . مالت عليه وهمست قريبة من اذنه .

ـــ هيا يامات .... هيا ياعزيزي . عليك أن تفكر بأشياء جميلة بدل تفكير في قضايا خاسرة .

كانت عينا مات متجهتين إلى صورة آنا فوق الموقد ...

دفع سارا بعيداً .

ـــ أعطني فرصة ياسارا . أرجوكِ ...

تغيرت تعابير وجه سارا ... نهضت بعصبية واتجهت إلى الأريكة المواجهة له والتقطت معطفها .

ـــ أكاد أفقدُ صبري معك يامات . فالله يعلم أنني أعطيتك الوقت الكافي لإبعاد آنا عن حياتك .

نظر مات إليها بقسوة .

لقد سمعتُ بما فيه الكفاية سارا . قدمي لي معروفاً وأخرجي من هنا ... الآن !!

ـــ هل ستأتي معي إلى ماليبو أم أنك قررت أن تلحق بها . أو تركض وراء زوجتك الجبية ؟

ـــ أظن أنك تعرفين الاجابة (قال بهدوء)

ـــ أنت أحمق يامات . فآنا لاتستطيع حتى اعطائك ولداً صحيحاً !! .

بتلك الكلمات القاسية خرجت من الغرفة غاضبة .

تنهد ماثيو وبدأ بتدليك عضلات رقبته المتشنجة

لماذا يسعى وراء زوجته بعد أن بيّنت له بوضوح أنها لا تريد رؤيته ؟ .

نظر من خلال النافذة على شوارع نيويورك المزدحمة .

فكر في حديقة انجليزية في شهر حزيران . العابقة برائحة الورود . وصوت خرير المياه فوق الصخور الرطبة .

وقريباً من ذلك كله صورة آنا وهي مستندة على الحائط الخصرى تحدق في ذلك الجمال بعينيها الزرقاوين وضحكتها الشفافة والرنانة .

استلقىٰ على الأريكة . لقد مضىٰ وقت طويل منذ أن استمع إلى تلك الضحكة . صعدت الى فمه مرارة الفشل وخيبة الأمل . ما الذي فعله بها لكي تتركه وتساع إلى التفكير في إجراءات الطلاق ؟ إني أخطأ معها لكي تقرر القيام بتلك الخطوة ؟

استرجع في ذاكرته الحديث الذي دار بينه وبين خاله في الصباح .

ـــ هذا لن يفيد ياولدي . فأنت ابن اختي على كل حال وعليك أن تتصرف على هذا الأساس . فشعار العائلة هو الاستقرار العائلي . ومن الأفضل أن تفهم ذلك لزوجتك الصغيرة التي أدخلتها إلى العائلة .

نظر ماثيو الى خاله بانزعاج .

ـــ زواجي ليس من اختصاصك .

ـــ وهنا يكمن خطؤك ياولدي . فأمك تلح علي للعناية بك ولاتنسى أنني أرعى هذا البيت منذ وفاة والدك .

انحنىٰ مات إليه ونظر في عينيه بنظرة باردة

ـــ لاتهددني ياخالي . لقد ملك أبي نصف هذه الشركة أتذكر ؟

ـــ والدك كان رجلاً احمق ضعيفاً والذي سارع إلى التخلص من حياته عندما شعر بخسارة الشركة . فعندما اشتريت حصته من والدتك .

كانت الشركة تمر بأزمة كبيرة .

آنا الذي خلقت شركة بارات وهذا ماتوصلت إليه اليوم . فلا تنسى هذا ...

لم يكن قد سبق لمات وأن رفع صوته في وجه خاله قبل الآن ولن يفعل ذلك الآن . أخفض النبرة الحادة في صوته وقال :

ـــ لقد أعطيتك من عمري اثنى عشر عاماً وأكرر لك . أن زواجي ليس من اختصاصك . ولايدخل من ضمن مهامي وعملي لديك ... فإذا أردت استقالتي فسأقدمها حالاً .. والآن ابتسم جيمس وقد احمر وجهه .

ـــ لست في حاجة إلى ذلك ياولدي . فأنا متأكد أنك وآنا ستحلان مشاكلي في أسرع وقت .

عبس مات وفكر ... إن المشكلة الأساسية هي كونه يشبه خاله إلى أبعد حد . فذلك النقاش الحاد الذي جرى في الصباح لم يكن إلا واحداً من مجموعة المصادمات التي كانت بينه وبين خاله خلال السنوات الماضية التي عمل فيها معه . ولولا أنه يحب عمله كثيراً لأرسل خاله منذ اللحظة الأولى إلى الجحيم .

اتصل بحركة المطار وتأكد من تأمين بطاقة الرحلة في الصباح الباكر نظر إلى صورة آنا وابتسم .

ـــ سأكون في لندن منذ الصباح الباكر . يافتاتي الصغيرة أرجو ألا تفكري في مغادرة البيت .... !!!

الفصل الثالث

ارتدت آنا بنطالاً من الجينز وقميصاً عريضاً ونزلت الى الطابق الأرضي متجهة إلى المطبخ الصغير . لم تكن لديها أدنى فكرة عن اليوم أو التاريخ الذي كانت فيه . الأربعاء أم الخميس

نظرت إلى التقويم . كان من المفترض أن تأتي الخدم لإعداد البيت لاستقبالهم عما هو مقرر لدى عودتهم من .ويورت يوم الجمعة .... ولكنها حتى ذلك الوقت ستكون قد غادرت المكان كلياً .

تناولت ورقة من المفكرة وقلماً وبدأت بإعداد قائمة بالأشياء التي كان عليها القيام بها . فهذه الطريقة هي الأمثل خاصة وأنها كانت مبلبلة الأفكار من جراء الأزمة الكبيرة التي كانت تمر بها وفشل زواجها .

بعد أن انتهت حدقت في القائمة لبرهة . كانت الأشياء التي دونتها مهمة وعملية . مثلاً : تقل أموالها من مصرف لندن وأخذ أشيائها الخاصة إلى بيتها في كروسماديت تذكرت جدتها بشوق . وقررت التحدث إليها بالهاتف :

رن الهاتف لفترة طويلة قبل أن تجيب جدتها .

— كنت في الحديقة . أهذا أنت ياآنا ؟ اعتقدت أنك في نيويورك ؟ ألم تقولي إنك ستقضين أسبوعاً في نيويورك ؟

— لقد عدت قبل ذلك . (لم تكن آنا تريد أن تعطي جدتها ايضاحات عبر الهاتف)

— هل مات معك ؟

— لا ... فمازال في نيويورك . استمعي إليَّ ياجدتي

هل استطيع المجيء إليك لقضاء بعض الوقت ؟

— بالطبع ياعزيزتي . فأنت تعلمين أنك لست بحاجة لطلب ذلك . متى ستصلين ؟

— هذا المساء ... سآخذ سيارة من المحطة . فلا تقلقي من هذه الناحية .

بعد فترة صمت قصيرة قالت جدتها :

— هل كل شيء على مايرام ياانا ؟

— نعم ... نعم ياجدتي سآراك قريباً .

في الرابعة والنصف . كانت قد قامت بحزم اشيائها وجمعتها في القاعة الرئيسية . لم تكن قد أخذت الكثير من الأشياء . فقط الأشياء الشخصية ... ثيابها

صورة ماتفي اطارها الفضي . وعلبة مجوهراتها والتي تحتوي على القطع التي ورثتها عن والدتها .

أما المجوهرات الثمينة التي كان مات قد اهداها اياها

فقد كانت موضوعة بأمان في المصرف وتستطيع آنا أن تتركها حيث هي الفترة التي تريدها .

أخذت خاتم الزواج والصورة وهذا كل ماكانت تريده منه .

لم يبق إلا نصف الساعة على موعد القطار . تنقلت من مكان إلى مكان داخل البيت . دخلت من غرفة إلى غرفة . شعرت أنها لم تعد تنتمي إلى هذا البيت . على الرغم من أنها وجدت كل السعادة في ذلك البيت مع مات ولقد أحبته كثيراً .

دخلت إلى المطبخ لغسل الأدوات التي استعملتها في إعداد قهوتها . توقفت قليلاً وأغمضت عينيها ووجدت نفسها تفكر في ذلك الأحد الذي قابلت فيه مات لأول مرة .

ابتسمت وهي تتذكر ... لم تكن قد أدركت وقتها أنها وقعت في حبه من النظرة الأولى .

كانت قد أخبرته أنها لن تقضي اليوم في البيت . إلا أنها جلست في ذلك اليوم تترقب جرس الباب بالطبع لن تكون لطيفة فتلك لم تكن صفاتها .

لدى رؤيته لها ابتسم لها قائلاً :

ـــ إذن ... أرى أنك قد غيرت رأيك ؟

ـــ عفواً ...

كانت تكره طريقته في التحدث وغطرسته واعتقاده أنها مكثت في البيت بانتظاره

ـــ قلت أنك ستقضين اليوم كله في الخارج (ذكرها)

ـــ صحيح .. ولكن غيرتُ رأيي ... ولكن لاتحاول أن تبني استنتاجاتك بسرعة

ضحك من كلماتها .. شعرت بالغضب يتصاعد داخلها لأنها لم تجد ماترد به عليه .

ولكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من النظر إلى وأناقته الظاهرة . وحتى ذلك . أشعرها بالخوف والقلق .

ـــ هل سأحظى بدليل سياحي لمشاهدة الطاحونة (سألها بابتسامة)

نظرت إلى ساعتها .

ـــ نعم .. ولكن الآن . فديف سيأتي لأخذي بعد ساعتين وعليَّ أن أغير ملابسي

شعرت بالرهبة عندما وجدت نفسها معه وحدهما

يجتازان ساحة الطاحونة ... لم تكن تدري آنا لمَ اهتمت

www.rewity.com

في ذلك اليوم بانتقاء ملابسها . حيث ارتدت فستاناً قطنياً ناعماً وفردت شعرها ولم تنسى وضع بعض اللمسات الناعمة من المكياج الخفيف .

كانت تدرك مقدار أنوثتها وجاذبيتها تأكدت من ذلك من خلال نظرة الإعجاب في عيني مات .

ابتسم لها مات وسألها :

ـــ هل تعتبرينى فضولياً إذا سألتك من يكون ديف هذا ؟

ـــ إنه صديق ؟

ـــ حبيب .

ـــ صديق فقط . (أعادت عليه جوابها) أمه صديقة لجدتي لقد عرفته منذ طفولتي . لقد تربينا معاً .

لا شيء غير هذا .

ـــ جيد ... (قالها مات وقد ظهرت نبرة الارتياح في صوته)

لم تتوقف كثيراً عند هذه الكلمة ولم تحاول تحليلها ... قام مات بفتح باب الطاحونة حيث كان يعم الظلام والرطوبة ماعدا الخيوط الناعمة من الضوء التي كانت تدخل من خلال النوافذ الصغيرة ... بدأ مات بفتح جميع الأبواب لكي يسمح لأشعة الشمس بالدخول . كان المكان يعمه الغبار وملىء بالآلات القديمة لم يهتم مات كثيراً بتفادي الغبار . حيث دخل بين هذه الآلات والدواليب . كان ينظر إلى كل آلة باهتمام بالغ

ـــ هذا رائع (قال بحماس) أتمنى لو أنه أتيح لي رؤيتها وهي تعمل

نقل بصره في المكان ونظر إلى أعلى حيث بنت العصافير أعشاشها على الرفوف العالية .... أما الرطوبة فقد كانت نسبتها عالية جداً لدرجة أنهما كانا يشعران بتدفق المياه تحت أقدامهما .

ـــ أستغرب كونك جيلوجياً ... يحيرني اهتمامك ومعرفتك للكثير من المعلومات حول المطاحن .

ـــ أنا بشكل عام أهتم بالأبنية القديمة ... وأحب الأشياء القديمة

استغربت من كلماته تلك فلم تكن تتخيله في حال من الأحوال مهتماً بالماضي والتقاليد التي كانت سائدة آنذاك .

خاصة وأنه يعمل في شركة لاتهتم إلا بالحاضر والمستقبل عندما اعربت له عن رأيها قال ضاحكاً :

ـــ أعمل لدى شركة بارات من أجل كسب العيش .

ولكن هذا لايعني أن حياتي تنتهي عند حدود تلك الشركة

ففي بعض الأحيان أهرب لأكشف عن مثل هذه الأماكن القديمة ... فهنا يكمن الخيال ... تصوري هذا المكان يعج بالناس الذين يعملون فيه .

ابتسمت آنا . لأنه للمرة الأولى منذ التقيا وجدت أن هناك شيئاً مشتركاً يجمع بينهما . ولكنها شعرت بغرابة ذلك الشيء لأنه رغم كل ذلك ، يعد إنساناً غريباً بالنسبة لها . قد يبدو لها جذاباً حلو الحديث ولكنه يبقىٰ غريباً .

إلا أنه عندما أمسك مات بيدها لم تسحبها بل أغلقت أصابعها على يده .. ثم وقفا إلى جانب بناء صغير يجمع الطاحونة بالبيت الرئيسي .

ـــ هذه الغرفة أعمل فيها دائماً ، هل تود أن تراها من الداخل ؟

ـــ نعم . أرجوك ... هذا إذا لم يكن عندك مانع ؟

فتحت الباب ولكنه تراجع قليلاً ليفسح لها المجال للدخول أولاً كما أنها شعرت بلمسة يده الدافئة .

دخلت بسرعة إلى الغرفة وقد شعرت بالارتباك في الرغبة المفاجئة التي انتابتها بالقرب منه .

ملأت أشعة الشمس الغرفة الصغيرة المليئة برفوف من الكتب ولكن ما لفت انتباهه هو ذلك العمل الذي كانت قد انتهت منه للتو . كانت تلك لوحة عن زهور تكاد تنطق ويكاد المرء يتجه إليها ليلمسها .

نظر وحدق فيها بصمت أخيراً التفت إلى آنا قائلاً :

ـــ أنت سيدة ماهرة جداً .

اجتاح الدفء كل كيانها ولمعت عيناها من الانفعال

ـــ شكراً لك .

ـــ هل يمكنك كسب عيشك بهذا العمل ؟

ـــ هذا العمل والعمل أيضاً ... فقد بدأت آنا ولوسي بهذا العمل منذ سنة وقد نجحنا بعض الشيء فنحن نبيع الهدايا المحلية للسواح .

ـــ لوسي ؟

ـــ هل تعتقد أنه يمكننا ذلك ؟ سألته بصوت هامس في أعالي السماء طار نسرٌ وحلق فوقهما وانخفض ضارباً ضاحيه بحثاً عن طريدة على سطح المستنقع

نظر مات الى النسر بعد ذلك الى آنا .

ـــ لا أدري ... هذا يعتمد على مانريده من هذه الحياة .

أليس كذلك ؟

ـــ وماذا تريد أنت من الحياة ؟

مسكت أنفاسها قليلاً لأنها كانت تعرف مايريد وتعرف إجابته ولكن سماعها لذلك كانت قضية حيوية بالنسبة لها .

ـــ أظن أنك تعرفين الاجابة ... أريدك أن تعودي إلى هذا كل شيء . (نظر إلى عينيها) أريدك أن تعودي آنا . (نهض فجأة) هيا بنا نتسابق إلى الحسر .

تبعته آنا ... متمنية أن تتحول عواطفها إلى عواطف سلبية لاتتجاوب مع مات . ولكن هذا ما لن يحدث أبداً . فهي تحبه ولاتريد شيئاً أكثر من وجودها بقربه إلا أن ذلك ليس سهلاً كما يبدو لها أو له . فهي تعرف أنها لن تستطيع الحياة وفقاً لشروطة الذي يقدمها لها .

صحيح أنها تتجاوب معه ويتجاوب معها . إلا أن ذلك ليس كل شيء

وهذا ما ثبت بالدليل القاطع .

فتح سلة الطعام . وجلسا عند حافة النهر ... وجدا لحم الدجاج البارد والسلطة .. بعض العزيز والعصير .

نظرت آنا إلى تلك الوليمة ... اجتاحت الذكريات مخيلتها... لقد تناولا هناك في الجزيرة اليونانية وعلى ضوء القمر ليلة زواجهما ... العصير الفريز .

— من أين أتيت بهذه الأشياء بهذا الوقت القصير ؟

— من سيارتي ... ألا يضع الناس أشياءهم في صندوق السيارة أثناء السفر .

صب العصير في الكؤوس ... أخذت من الكأس بتنهيدة عميقة .

— أنت لاتستسلم أبداً .

— لايمكن أن تلوميني على ذلك .

أصلحت من جلستها لتصبح أكثر راحة وتناولت قطعة من الدجاج

— لا .. لا ألومك .... لقد عشت معك الكفاية لأعلم أنك لاتوفر طريقة لتحصل على ماتريد

— ماذا ستتمنى أن يتحقق بعد هذه النزهة الرائعة ؟

مارأيك في بداية جديدة ؟

— ولمَ لا نقول .... تفاهم أكبر ؟

— لمَ لا .. ؟ .

نظرت بعيداً وازاحت نظرها عنه .

— مات ... أرجو ألا تضع الآمال الكبيرة على ذلك .

دعنا ننظر إلى الأمور بتمعن أكبر ، دعنا نعطي لأنفسنا فرصة ووقتاً للاستراحة من هذا الصراع .

— حسناً .... ووفت شروطك ياآنا ...

هل تريدين بعض الفريز ؟ .

ناولها صحناً زجاجياً مليئاً بالفريز الأحمر اللامع ،

حدق فيها وهي تقطم واحدة

— أرجوك ... لاتفعل ذلك . لاتنظر إلى بهذه الصورة .

— لماذا ..؟ أحب النظر إليك

انحنى إليها وعانقها

فجأة نهض مات . وبدأ بجمع الأشياء قائلاً :

— يبدو وكأنها ستمطر . يجدر بنا أن نعود إلى البيت .

نظرت آنا إلى السماء الملبدة بالغيوم باستعجاب .

متى تجمعت هذه الغيوم . بدأ بالركض باتجاه الطاحونة

تمسكت بذراع مات بينما فرد الأخير الغطاء الذي كانا يجلسان عليه .... كانا يدوسان بقدميهما على المرج الأخضر المشبع بمياه الأمطار . هكذا الى أن دخلا المطبخ وهما يضحكان ويلهثان .

نظرا إلى بعضهما وتوقفا عن الضحك .

أبعدت آنا نظرها عنه قائلة :

— من الأفضل أن نجفف هذا الغطاء قبل أن ينكمش ...

— إلى الجحيم ... ليذهب الى الجحيم !!

أجتاز المسافة الفاصلة بينهما . وسمعا معاً صوت الباب الأمامي يفتح وخطوات كات تتجه إليهما .

— يالهي ... لا أستطيع تحمل ذلك ... أنا أحب كات كثيراً ولكن لها مواعيد غريبة .

— في هذه اللحظة لاتوجد إلا نية واحدة وأنتِ تعرفينها .

دخلت كات المطبخ ، تحمل حذاءها المبلل بالطين

— يالهذه الأمطار ... لقد تبللت بأكملي من السيارة إلى البيت .

(نظرت إليهما وهما يقفان جامدين) هل قمتما بنزهتكما ؟

أمسكت آنا الإبريق ووضعته على النار

— نعم ... لقد عدنا منذ دقائق .

— كنا على وشك الصعود لتغيير ملابسنا المبتلة

(أضاف مات)

لم تجرؤ آنا على النظر إليه .

— اذهب أنت أولاً (قالت بسرعة) سأقوم باعداد بعض الشاي .

— ياللسماء ... شاي ...

واندفع خارجاً من الغرفة .

نظرت إليه كات وهو يخرج قائلة :

— هل أزعجته مرة أخرى ؟

— بالطبع لا ... ولماذا تظنين دائماً أنني أقوم بازعاجه بينما الواقع غير ذلك تماماً ؟

— يبدو منقلب المزاج ... هذا كل شيء على ماأظن ...

عليك أنت تفهميه آنا ... فالرجال مخلوقات مسلية .

— تقولين لي ذلك .. (ضحكت آنا) كيف وجدت السيدة هيلين .

— آه ... هذا ماكنت أريد أن أحدثك به ... طلبت مني هيلين أن أذهب معها إلى بندورم . ولمدة أسبوع .

— ماذا .. ؟

لسبب ما .. لم تتصور آنا جدتها تقضي شهراً كاملاً في احدى القرى الاسبانية

— كانت ستذهب مع أختها ... تلك التي تعيش في بورك .

ولكن لسوء الحظ لم تعد ظروفها تسمح بالسفر معه . وهيلين كما تعرفين لاتحب السفر وحيدة لذلك سألتني إذا كنت مهتمة بذلك ... مارأيك ؟

— هل تريدين الذهاب ؟

— أظن ذلك ... يمكنني أن اعتبرها إجازة .. ولكنني لم أقرر بعد . فإسبانيا بلد حار .. أليس كذلك ؟

www.rewity.com

لست متأكدة من أنني سأتحمل الحر الشديد .

ـــ بالطبع ستتحملين ... يمكننا أن نشترى غداً بعض الملابس المناسبة . ويمكنني أن أهتم بالمكان هنا . لذلك أنصحك بالذهاب وقضاء وقت ممتع مع السيدة هيلين .

بعد ذلك أدركت آنا ماذا يعني سفر عمتها إلى اسبانيا

أدركت أن ذلك سيضعها وجهاً لوجه مع مات ولوحدها .

أما بالنسبة إلى مات .... فبعد تلك النزهة .. لم يعد يقترب منها وتركها لوحدتها على الرغم من أنها في بعض المناسبات وجدته ينظر إليها وتعبير غريب في عينيه الداكنتين .

لم تكن آنا تثق به ولم تكن تعرف ماذا يجري في تفكيره .

بعد أن تم الاعداد لسفر كات أخذها ديف بسيارته في الوقت المحدد للسفر إلى المطار .

كان قد تقابل مع مات وبجفاف عندما أتى إلى الطاحونة .

وعندما انطلقت السيارة بجدتها . التفت إليها مات قائلاً :

ـــ لا أحب صديقك هذا ... ماذا قلت اسمه ؟

ـــ اسمه ديف ... وأنت لست مجبراً على أن تحبه .

ـــ ربما .... ولكنني لست مرتاحاً للنظرة التي يحد حبك بها .

أظن أن الرجل يحاول اغتنام الفرصة .

ـــ بحق السماء مات ... إنه صديق . لاشيء أكثر من ذلك ... وعلى كل حال أمره لايخصك .

لمعت عيناه بحظر ولكنه ابتسم أخيراً قائلاً :

ـــ آه ياحبيبتي ولكن الأمر يخصني الآن وفي كل وقت .

ـــ لقد قلت لك . انا وديف منذ مدة طويلة .

أنت تغار منه هذا كل شيء .

قالت بصوت منخفض إلا أنها انتبهت إلى أن البيت بأكمله أصبح لهما الآن .

ـــ هكذا إذن . أغار منه ... هذا رأيك ؟

أنا اعترف بذلك . ولكني مازلت لا أحب صديقك هذا

مدَّ يده إليها وسحبها .

ـــ تعالي واجلسي معي ... لاحظي أننا لوحدنا وللمرة الأولى منذ أيام .

جلست بالقرب منه على الكنبة .

ـــ ولكن هذا لايعني بالضرورة أن تأخذ حريتك الكاملة .

وأخذ يداعبها .

ـــ يالها من تقاليد بالية تتحلين بها إلى جانب ذلك . من قال شيئاً عن الأخذ ؟ أظن أنك أنت التي ستعطيني ماأريد وبإرادتك ياحبي .

ابتعدت عنه .

ـــ هل أنا حبك كما تقول ؟

ـــ وماذا تعتقدين غير ذلك ؟

ـــ أنا أعرف ماذا أعتقد وأنت تدرك ذلك طبعاً .

— هل سيريحك أن أقول لك . إنني أحبك ؟

— فقط إذا كانت تلك هي الحقيقة .

— آه ... وهذه مشكلة أخرى . وقلت إذاً

— الحقيقة تكمن بالفرق مابين ماأقوله وما تعتقدينه فأنت لاتثقين بي .

كان ماقاله عبارة وليس سؤالاً .

— لا ... أنا لاأثق بك . (قالت بصراحة) وكيف لي أن أثق ؟

— وما الذي سيعيد إليك هذه الثقة .. أسأل نفسي

— لا أدري يامات ... ربما الوقت .

جلسا صامتين لفترة . قال فجأة .

— هل تتذكرين المرة الأولى التي أخذتك بها إلى آشلي بارك ؟ .

— وكيف لي أن أنسى (ابتسمت) حيث توقعت أن أشاهد بيتاً قديماً وسط حديقة غناء .

— بدلاً من ذلك قابلت بيتاً مليئاً بالأشباح والتماثيل وبيتاً من الطراز الفكتوري

— ولكنه جميل بطريقته الخاصة ، وعندما يعتاد الانسان عليه ويحب أن تعترف أن مايظهر عليه من بشاعة عائد إلى طريقة العناية به . وأوراق الجدران القاتمة وصور الحيوانات الميتة والمفترسة .

— أحدهم وصف البيت بإنه مكان مابين الكنيسة الصغيرة والمكتبة العامة . طبعاً ذلك لم يرض والدتي في شيء .

تصورت آنا ذلك . فقبل مقابلتها لايستلها والدة مات ولأول مرة . طلب منها مات تلك الكلمات (حافظي على شخصيتك وسيحبونك) ولكن ذلك لم ينفع في شيء .

ربما كان على علم مما كان سيكون رد فعلها عند مقابلتها لآنا صدمتها عندما سمعته يقول عن رغبته بالزواج منها بعد ذلك ارتدت قناع الابتسام ومنحتها قبلات المجاملة . لتلتفت بعد ذلك إلى التحقيق حول عائلتها ومحيطها الاجتماعي وصدمتها الكبيرة عند معرفتها لعملها في محل الهدايا ولكي تخفف من مظاهر تلك الصدمة سارعت إلى التعليق قائلة :

— باللروعة .

بعد ذلك ضغطت على جرس الخادمة من أجل الشاي والذي يعد من أعرق التقاليد الانجليزية .

بعد فترة اكتشفت أن أختي مات كانتا شبيهتين جداً بالوالدة من ناحية التحفظ وضيق الأفق . باختصار لم يتمكن إلا مات من ساكني ذلك القصر تحقيق مايرغب به ومايميل إليه .

عمل لصالح خاله ... هذا صحيح . ولكنه حاول جاهداً أن يصل إلى النجاح بعيداً عن منافسة أحد . بل تحدٍ لنفسه ولمحيطه .

عرفت هذه الصفة فيه بعد زواجهما بمدة قصيرة وعندما امتطى جواد والدته الحرون .

ـــ هل تتذكر أول مرة اعتطيت فيه جواد والدتك ؟

ـــ تقصدين خان ؟

اومأت إليه بالايجاب .

ـــ لقد قررت أن تمتطيه . لم أكن قد رأيت في حياتي مثل ذلك الحصان المجنون . خفت عليك في ذلك اليوم

وغضبت منك لأنك وضعت نفسك في موقف خطر .

ـــ لم يكن الأمر بذلك السوء تا . (اعترض مات)

ـــ بل كان كذلك . على الأقل من المكان الذي كنت أقف فيه فأزلت حتى الآن أشعر بالغثيان كلما تذكرت ذلك اليوم .

كانا في بداية حبهما وكان عليها أن تزود نفسها بالكثير من الشجاعة لتتحمل منظر مات وهو يعلو ظهر ذلك الحصان المجنون وينطلق به باتجاه النهر . ذلك الجانب المتهور منه أدخل إلى قلبها الشعور بعدم الأمان .

في زيارات أخرى لها إلى أشلي بارك . حاولت آنا أن تركب الخيل . واختارت الطفها واسهلها قيادة . كانت ايستلا تمتلك مجموعة كبيرة من الخيول في اسطبلاتها . أما دافعها إلى ذلك . فلم يكن على سبيل التمتع بل كانت تحاول جاهدة اللحاق بمات أثناء تجواله على خان . وأيضاً بسبب سارا ... تلك الفتاة المتهورة التي كانت تتسابق مع مات . ورغم ذلك كانت تُترك في الخلف .

شعرت بالبرودة تجتاح جسمها وارتعشت . ثم قال لها مات :

ـــ هل تشعرين بالبرد ؟ هل أحضر لكِ سترتك ؟

ـــ لا ... أنا بخير شكراً .

كان مجرد التفكير بسارا ينغص عليها حياتها ويدمر أي تقارب يمكن أن يحدث بينهما .

ـــ أشعر بالتعب وأفضل أن أنسحب إلى غرفتي .

نهضت وبدون أن تنظر إلى عينيه إلا أنه أمسكها من يدها

ـــ هل يحق لي أن أسألك فيما إذا كنت أستطيع الانضمام إليك ؟

ـــ لا ... ليس الليلة .

قابلت عينيه على أمل أن يفهمها إلا أن وجهه لبس قناعاً من الجمود .

ـــ حسناً ... (لم يقل غير تلك الكلمة)

تركته جالساً في ذلك المكان الذي جمعهما منذ فترة والدموع تملأ مقلتيها .

راقبها مات تتجه إلى غرفتها متسائلاً عن سبب انكماشها على نفسها ... بالتأكيد لن يكون ذلك صورته وهو يمتطي ذلك الجواد المجنون هز رأسه يائساً ... لم يكن يدري إلى ما ستصل إليه الأمور بينهما ... من جهة هو على دراية كاملة بما يريد ولكن المهم هل تلتقي حاجاته وحاجات آنا ؟

ترك المجال لآنا لكي تدخل إلى غرفتها بعد ذلك إتجه إلى الغرفة الإضافية في البيت ليقضي فيها ليلة ثانية .

الفصل الرابع

استندت على الحائط وهي ترتجف . لمست كات كتفها قائلة :

ـــ حسناً وماذا بعد ؟

ابتسمت آنا بضعف

ـــ لقد اقفلت الهاتف في وجهه .

ـــ هل سيأتي إلى هنا ؟

ـــ لم يقل شيئا ولكنه حتماً مضطر لذلك . قال إن علينا أن نتكلم .

ـــ أنا أوافقه في هذا . لأنه يجب أن نتحدثا معاً وتسوية الأمور فيما بينكما ... أنا مضطرة الآن للقيام بعض الأعمال .

لمَ لا تذهبين إلى القرية وتتحدثين قليلاً مع لوسي في المحل ؟

وبالمناسبة أرجو أن تجلبي معك بعض الأشياء للعشاء طالما أن مات سيأتي هذا المساء . وأنت تعرفين شهية زوجك .

ـــ جدتي ... (اعترضت آنا) إذا جاء مات بالتأكيد لن تكون شهيته مفتوحة جداً . وعلى كل حال دعيه يأكل في مكان آخر

ـــ إن الأمور الهامة لاتناقش إلا على المائدة على الأقل تشغلين يديك في أمر ما

قطعت آنا النصف ميل الذي يفصل الطاحونة عن قرية كروس وايت

سارت آنا عبر الطرق الضيقة والتي تصطف على جوانبها الحقول العامرة بالكلأ والخراف التي ترعى فيها تنفست بعمق واستمتعت بالهواء النقي بعد أن عاشت أكثر من سنة ونصف في جو لندن الخانق .

فقد اضطرت هي ومات أن يتخذا من المدينة مركزاً لمعيشتهما ولكنها لم تكن قد شعرت بالأمان في ذلك المكان في يوم من الأيام .

كان هناك دائماً مايقلقها ويزعج راحتها . وكانت لديها فكرة ما برحت تقلق عيشتها وهي أنه لو قدر لها أن تموت على رصيف من أرصفة لندن المزدحمة . لما لاحظها أحد ولداس أكثر من واحد عليها واستمر في سيره ، والحياة تستمر ولاتتوقف ولو للحظة واحدة احتراماً للموت .

أما كروس وايت فقد كانت قلب يوركشاير . تتألف من شارع رئيسي وبيوت حجرية تحيط بالنهر الذي يمر من منتصفها بالإضافة إلى ذلك كان هناك جسر وكنيسة قديمة .

أما عن المحلات فأكثرها محلات تهم السائحين حيث تباع الهدايا التذكارية وأحد هذه المحلات ذلك الذي كانت تعمل فيه آنا مع صديقتها لوسي .

فتحت الباب ودخلت لتستنشق عبير المحل الذي اعتادت عليه في الماضي ، رفعت لوسي نظرها حيث كانت تكلم سائحاً يشتري بعض الهدايا لتفاجأ بصديقتها بعد غياب طويل .

ـــ آنا أكاد لا أصدق .

التفت زائرو المحل إلى آنا لدى سماعهم كلمات لوسي المتحمسة .

شفت . آنا طريقها حيث كانت صديقتها . كان المحل مليئاً بالبضائع الجلدية والفخارية التي كانت جدتها تساهم في صنعها بالإضافة إلى المجوهرات التقليدية التي كانت تصنعها لوسي .

ـــ اعتقدت أنك في الولايات المتحدة . كنت سأتصل بك عند نهاية الأسبوع ... هل أتى مات أيضاً ؟

ـــ ليس الآن يمكنني أن أتنقل لوحدي بحرية أليس كذلك ؟

ـــ آه ... لو كان لي زوج كزوجك لما سمحت له أن يغيب عن نظري دقيقة واحدة .

قامت بخدمة زبون جديد وبعد أن انتهت منه قالت :

ـــ دعينا نذهب إلى الغرفة الخلفية سنتناول بعض القهوة ونتحدث قليلاً .

قامت لوسي باعداد قهوة سريعة وجلست إلى صديقتها :

ـــ أخبريني الآن عن أخبارك . كيف رأيتِ الولايات المتحدة ؟ تبدين مجهدة قليلاً ... هل كل شيء على مايرام . بينك وبين مات أقصد ... ؟

تنهدت آنا بتعب :

ـــ ستعرفين عاجلاً أم آجلاً ... لقد تركته .

ـــ آه ... أنا آسفة .. هل تودين الحديث عن ذلك ؟

ـــ ليس الآن يصعب عليَّ ذلك في الوقت الحاضر .

ـــ أنهم ذلك . (تناولت قطعة بسكويت وتابعت) لا أصدق ذلك . كنتما تبدوان في غاية الإنسجام .

ـــ ولكن ذلك لايعني شيئاً فالمظاهر تخدع في بعض الأحيان أليس كذلك ؟

ـــ لايبقى على ماهو عليه دائماً ... واذا احتجت إلى من يسمعك فأنا على استعداد دائماً .

ـــ أعرف ذلك وشكراً لك .... وماذا عنك وعن ديف .. هل حددتما موعداً للزواج ؟

ـــ لابد وأنك تمزحين ... فلست أرى طريقة لأخذه إلى الكنيسة إلا عن طريق التنويم المغناطيسي وهذا طبعاً سيسيء لسمعتي .... يخطر لي في بعض الأحيان أن أتخلى عن كل ذلك وأبحث عن رجل آخر أكثر طواعية وقابلية .

ولكن المشكلة أنني أحب ذلك الأحمق

مكثت آنا مع لوسي لفترة وتناقشا في أمور العمل إلى أن أتت مجموعة من السياح .

ارتاحت آنا لأنها لم تعمل بنصيحة مات ببيع حصتها من المحل بعد الزواج ... وهذا يعني أنها ستتمكن من كسب عيشها ولن تكون عالة على

جدتها ولن تضطر أيضاً لمد يدها إلى مات وأخذ معونة مادية منه ... فاستقلالها المادي سيكون لها العون وسيحفظ لها كرامتها إذا ماوقع الطلاق بينها وبين مات .

تركت المحل وهي تفكر بعمق .. توقفت لدى سماعها لأحدهم يناديها باسمها .

ـــ آنا ... انتظري

استدارت بانزعاج إلا أنها ابتسمت لدى رؤيتها لديف يتجه نحوها مسرعاً .

ـــ متى عدت من الولايات المتحدة ؟ لم تقل لي جدتك إنك ستأتين إلى كروس وايت .

ـــ لا ... لقد كان قرار آنيا ... عدت الليلة الماضية

ـــ هل زوجك معك ؟

الغريب بالموضوع أن ديف ومات لم يستلطفا أحدهما الآخر

في يوم من الأيام ... تحققت من ذلك الآن .. فبالنسبة لديف كان مات عبارة عن زوج آنا ... أما مات فقد دأب على تسمية « بصديقك ذلك الذي لاأعرف اسمه »

استمرت هذه التلميحات حتى بعد أن تمت خطبة لوسي وديف بعد زواج آنا .

ـــ لا ... مات في لندن . (رأت آنا علامات الرضى على وجه ديف)

كانت آنا قد عرفت ديف منذ أن كانت صغيرة وكانت متأكدة أيضاً أن جدتها ووالدة ديف كانتا تتمنيان أن يتزوجا في يوم من الأيام .

بالفعل ... كان من الممكن أن تتزوجه لولا ظهور مات في حياتها . فقد كانت واقعة في حبه ... ولكنه حب من النوع الهادىء والسهل الخالي من أي تعقيد . ولكنها تزوجت مات . وبقي ديف بدون زواج على الرغم من أنه يشكل الزوج المثالي لأي فتاه لأنه من الناحية الوظيفية كان يشغل مركزاً مرموقاً في مدرسة ابتدائية أما من الناحية الجسدية فقد كان ومازال حسن المظهر وذا جاذبية هادئة .

« نعم كان من الممكن أن يكون الزوج المثالي لأية فتاه ولكن ليس لآنا » .

استغربت آنا كيف أن رجلاً لايصلح أن يكون إلا صديقا بينما لايصلح الآخر لأن يكون إلا حبيباً

ـــ هل ستمكثين طويلاً هذه المرة ؟ (سألها ديف)

ـــ في الوقت الحاضر نعم .

ـــ اسمعي ... لمَ لا نشرب فنجاناً من القهوة في مكان ما ؟

آخر شيء كانت تريده آنا في هذه اللحظة هو الجلوس مع ديف في مكان عام . لقد كان ذلك منذ زمن طويل ... منذ سنوات مضت . أما الآن فلم تعد تلك الفتاة اللاهية ... كانت تشعر بالتغير الذي حصل لها بعد الزواج ...

ـــ في وقت آخر ديف ... لقد تناولت القهوة لتوي مع لوسي في المحل . أما الآن .. يتوجب عليَّ العودة إلى البيت قد يثير تأخيري قلق جدتي .

ـــ هل بإمكاني إذن أن أرافقك حتى الطاحونة ؟

بدا لها متشوقاً جداً . ولم تستطع الرفض ووافقت على ذلك مرغمة .

كانت سيارته من النوع الكبير الذي يناسب العائلات النبيلة القديمة ولاتشبه في شيء تلك السيارة التي يقودها مات . تلك السيارة الحديثة والتي فيها الكثير من الجنون .

انتظرها إلى أن دخلت السيارة واستقرت بأمان في المقعد الأمامي بعد ذلك . أدار المحرك . ساد الصمت قليلاً في البداية إلا أن ديف تنحنح أخيراً وبادرها قائلاً :

ـــ لم تكن لديَّ الفرصة لأعبر لكِ عن اسفي بخصوص الطفل .

فقد كنت ... كنا على وشك ... حسناً أنت تعرفين .

ـــ الطفل ... ؟ نعم .. أعرف .. لقد استلمت بطاقتك . جميل أن يكون للإنسان أصدقاء يفكرون فيه .

ـــ هل كنت سعيدة في حياتك آنا ... طبعاً إذا استثنينا مسألة الطفل ؟

فاجأها السؤال لكنها أجابته

ـــ دعنا نقول إنني حصلت على ماأستحق ..

لم تدرك أن البسمة المشرقة التي حاولت أن تظهرها له لم تخفي شيئاً من التعاسة التي كانت تعاني منها .

ـــ كان عليك الزواج مني ... كنت سأتقدم لك عندما دخل ذلك المتغطرس حياتك وخطفك من أمامي وأمام عيني

ـــ آه ديف ولكنني لم أكن أدري وقتها ... لا أدري ماذا أقول لك .

ـــ لا تقولي أي شيء ... أشعر فقط بالأسف من أجلي وعلى نفسي ... هذا كل شيء ... إنسي ماقلته لكِ أرجوكِ

شعرت آنا بالانزعاج التام والشعور بالذنب ... تمنت من كل قلبها لو أنه لم يفه بكلمة واحدة مما سمعت ... ماذا كان بإمكانها أن تفعل الآن ... تذكرت أنها لم تلاحظ قط أية علامة حب بدرت منه في الماضي . لقد كانا منسجمين معاً وبشكل كبير كصديقين ولكن ليس كحبيبين .

ـــ حسناً ... أنا آسفة إذا كنت قد تسببت لك بأي أذى

ولكن لم أعتقد يوماً أن .... يالهي أشعر بتأنيب ضمير يكاد يقتلني .

ـــ اسمعي .. أرجوك لا ... لقد كانت غلطتي في أنني لم أخبرك عن أحاسيسي وقتها . فأنا حيان .. هذه هي الحقيقة . على كل حال كان ذلك لصالحك .. فآنا ولوسي الآن ..

نظرت إليه تود لو تتأكد من عدم تأثره منها ... إلا أنه أهداها احدى ابتساماته الصريحة ... « هل كانت ستكون أفضل حالاً مع ديف ؟ »

هل كان من الأفضل أن تختار حباً هادئاً أم حباً عاصفياً يجتاح حياتها اجتياحاً ؟

لم تفهم حينها ما الذي حصل لها ... فكل ماكانت تعرفه أن مات ستطاع أن يصل الى كل قطعة منها بلمسة سحرية . جاعلاً إياها تشعر ن حياتها قبل أن تراه لم تكن تعني لها أي شيء .

وضعت يدها على يد ديف قائلة :

ـــ نعم .... لديك لوسي الآن . وهي تحبك كثير .

قطعا المسافة المتبقية إلى الطاحونة في صمت

ـــ هل ستأتي لتسلم علىٰ جدتي ؟

سألته آنا ما أن توقف أمام الطاحونة . إلا أنها شعرت بالراحة الكبيرة عندما اعتذر عن ذلك .

ـــ شكراً لايصلك لي .. سآراك قريباً .

ـــ وهو كذلك . فأنا دائما في الجوار .

كانت كات في المطبخ تقطع بعض الخضار

ـــ اتصل مات مرة أخرى وأنت في الخارج .

ـــ يا الهي لا يستسلم أبداً ... ماذا كان يريد هذه المرة ؟

ـــ كان يريد إعلامك أنه سيصل إلى هنا بعد الظهر .

شعرت آنا باليأس .

ـــ آه ... لمَ لايتركني بسلام ؟ فأنا لاأريد حتى رؤيته .

هل يتحتم علي التحدث اليه الآن ... أنا لاأستطيع ذلك .

نظرت إليها جدتها باشفاق

ـــ ولكن ستقوفين بذلك الآن أو غداً وعليك معالجة هذا الموضوع ... فهذا الموقف لايحتمل التأجيل . وأن تعرفين ذلك ... دعينا نشرب كوباً من الشاي وأهدئي ياعزيزتي

أخذت آنا كوب الشاي معها واتجهت إلى خارج البيت .

بدا الجو دافئاً بفضل الشمس الساطعة . تحت ويبستر محدداً بكسل على حافة الجدار المجاور للطاحونة .

ـــ أنت تعيش بسلام أليس كذلك ويبستر ؟

وضعت كوبها الفارغ على حافة الحائط . واتجهت إلى النهر . في محاولة لازاحة أعصابها ... فعلى كل حال كأن لديها الإهانة التي تعرضت لها في حفلة نيويورك ... ومن المؤكد أنها لن تكون في مناقشتها مع مات في حالة دفاع أو على الأقل لن تشعر بتأنيب الضمير .

جلست عند ضفة النهر وأخذت تتسلى برمي بعض الحصى الصغيرة وتراقب الدوائر التي كانت تتشكل على وجه الماء ... كانت تريد بأي طريقة أن تُهدّىء من ثورة غضبها قبل أن يأتي مات . ولكن كل ماكان يخطر على بالها ويغزو أفكارها هي الساعات الجميلة التي قضتها مع مات والمليئة بالحب والحنان . كما تذكرت ضحكاته عندما كانت تقول أشياء تمتعه وتثير فرحه .

ملأت ذكريات الحب والحنان افكارها . استلقت على العشب الدافىء . واضعة يديها خلف رأسها وتركت لأفكارها الفنان ...

لم يخبرها مات لدى عودته إلى لندن بعد عودته من رحلته في ذلك الوقت بدلاً من ذلك جاءها إلى الطاحونة وعلى حين غرة حاملاً معه علبة من الشوكولا لجدتها .

ساعة منبه على شكل فأر للقط وبيستر . وباقة كبيرة من الزهور الصفراء لها .

كانت آنا قد فتحت الباب ووقفت محدقة فيه وعلائم عدم الاستيعاب بادية على وجهها .

ابتسم لها .

ــ لن تطلبي في الدخول ؟

ــ آه ... نعم ... طبعاً .

فتحت الباب وتنحت له للدخول . وضع الزهور بين ذراعيها

ــ من الأفضل أن تأخذي هذه الزهور وتضعيها في الماء قبل أن تذبل .

أمسكت بالورود وقربتها من أنفسها مستنشقة عبيرها الناعم .

ــ هل هذه لي ؟

ــ ولمن تكون إذاً إن لم تكن لك ... أرجو أن تكوني من محبي لورود .

ــ بالطبع ... شكراً إنها جميلة بالفعل .

انحنى قليلاً واعطاها قبلة .

يسرني انها أعجبتك .

بقي عندهم حتى العشاء . بعد ذلك ، خرجا في نزهة على ضفة النهر والجسر القريب منه .. وضع ذراعه حولها وسارا

لم تتذكر آنا لحظة أسعد من تلك في حياتها .

ــ لقد اشتقت إليك . (بادرها عندما توقفا فوق الجسر)

هل تصدقين هذا ؟

ــ لا أدري .

كانت متوترة من جراء قربه الشديد منها . وقالت :

ــ كان جميل منك أن تجلب لي الأزهار والأشياء الأخرى ..

ولكننا لانعرف بعضنا كثيرا . أليس كذلك ؟

حاولت بتلك الكلمات وضع حد لذلك التقارب بينهما

ــ هذا ليس صحيحاً بإمكاني أن أعيش معك سنة ولكن لن أعرف عنك الأشياء التي أعرفها الآن .

ــ هذا مبالغ فيه

ــ هذا بالنسبة لك ياعزيزتي آنا .

اقترب منها أكثر .. وحدق في وجهها قائلاً

ــ أشعر وكأنني عرفتك طوال حياتي . (قال بنعومة بينما أصابعه

كانت تداعبها باستطاعتي أن أملأ صفحات كتاب كامل عنك ولن تكون كافية .

ضحكت آنا بعصبية بينما كان قلبها يدق بصورة جنونية وكأنه على وشك الانطلاق من الانفعال والفرحة .

ــ هذا جنون ...

نعم لابد وأنه كان مجنوناً ... ولكنها في الواقع كانت متأكدة أنها كانت تنتظر هذه اللحظة منذ زمن طويل .

وبخجل بالغ رفعت أصابعها المرتجفة ولمست وجهه : أمسك يدها قائلاً :

ــ آنا ... أنا أحبك

نعم ... لقد صدقته

ولكن هذا كان في البداية « قالت آنا لنفسها » محاولة طرد تلك الذكريات من مخيلتها . فتلك كانت ذكريات الأيام الجميلة ، أيام الإنسجام التام روحاً وجسداً . لابد وأن ماحدث كان حلماً ماليث وأن تلاشى مع الأيام فحبه قد تغير إلى ملل وإلى غضب وعدم اهتمام .

فجأة تنبهت الى صوت أتاها من النهر ... صوت قوي والقط أصبح في وضع حرج .

ويبستر قطفت باسمه وقفزت من مكانها لتفاجأ بالقط وقد وقع في النهر .

ــ آه ... لا .

وبدون تفكير وبدون الانتباه إلى ماكانت ترتديه خاضت مياه النهر الضحلة .

كانت المياه قد دخلت عبر بنطالها الجينز وشعرت بالرطوبة تجتاح ساقيها . وانغرست قدماها في الطين . حملت القط واتجهت به إلى الضفة بعد أن فقدت إحدى فردتي الحذاء .

ــ ها قد تم انقاذك ويبستر ... سنخرج من المياه .

ركعت على الأرض في محاولة لتهدئة القط الذي كان يرتجف من الخوف ولم تسمع صوت السيارة التي توقفت قريباً من مكان وجودها إلى أن سمعت صوت آمر يسألها :

ــ بحق الشيطان .. ماذا تفعلين الآن ؟

رفعت نظرها الى الأعلى . آخذة يدها الى شعرها في محاولة لتسويته قدر المستطاع . حدقت في وجه مات وكأنها فقدت القدرة على النطق . بينما أخذ قلبها يدق بطريقة جنونية .

بللت شفتيها وأزاحت الطين الذي كان يكسوهما . وبين ذراعيها كان القط مايزال يرتجف ... لدى رؤيته للقط .... ابتسم لها مات قائلاً :

ــ أعرف أنه ليس من شأني أن أسأل ولكن أود أن أعرف ماذا حصل هنا ؟ .

ــ لقد سقط في النهر . وقمت بانقاذه ولكن يبدو أن حبلاً . من

النبات المتسلق قد التف حول جسمه ولا أستطيع انتزاعه

أرجو أن تساعدني .

ـــ اسمحي لي

أخرج سكيناً صغيراً من جيبه وقطع الحبل النباتي الرطب والملتف حول رقبة القط ... (وتقهقر قليلاً إلى الوراء بينما حاولت آن انتزاع بقية الحبل عن جسم وبيستر .

ـــ آه يامسكين ...

صاحت بفرح لدى رؤيتها لوبيستر ينطلق فرحاً ويصعد حافة الحائط هازاً ذيله بفرح .

ـــ انه يشكرنا

ـــ الامتنان هو المتوقع ولاشيء آخر آنا .... دعينا نرى ذلك الجرح .

مسحت الجرح بطرف قميصها

ـــ لا ... إنه جرح لايذكر .

ـــ بحق السماء .. لاتفعلي هذا . بهذا ستدخلين الملايين من الجراثيم

ـــ لاتقلق .... لابد وأن جدتي لديها بعض المطهرات في البيت .

ـــ حسنا .. هذا جيد ... ولكنك بحاجة إلى حمام ... أين فردة الحذاء الثانية ؟

ـــ في النهر .

كانت غاضبة لم تكن تريد أن يراها على هذه الصورة . فقد كان وكعادته يلبس بأناقة وجاذبية ظاهرة . وهذا ماجعلها تشعر بانزعاج أكبر .

ترددت قليلاً لم تكن تدري ماذا ستفعل ... نظرت إلى القط ووجدته يمسح نفسه على الجدار وينظر نحوهما

لاحظ مات ترددها وابتسم قائلاً :

ـــ لا تقلقي بشأن القط . فهو استطاعته العناية بنفسه وهذا ماأشك فيه بالنسبة لك .

كلماته تلك جعلتها تنهض عن الأرض بسرعة وقد اجتاحها الغضب

ـــ وماذا تعني بكلماتك تلك ؟

نظر مات إليها بامعان

ـــ حسناً .... باستطاعتك أن تنظري إلى نفسك

ـــ شكراً ....

استدارت متجهة إلى البيت . كانت تريد أن تحافظ على كرامتها بأية طريقة متناسية قدمها الحافية .

« ماهذا الحظ » لايسير شيئاً في حياتها كما كانت تبغي وتخطط له .... فقد قررت أن تكون مسيطرة على أعصابها لدى قدومه لمناقشة مستقبلهما . بدلاً من ذلك . وصل مبكراً ليجدها غارقة في الطين حتى أذنيها .

تركت حذاءها أو لنقل فردة الحذاء المتبقية في الخارج بجانب باب

المطبخ واتجهت مباشرة إلى حوض غسيل الأواني لإزالة الطين من يديها . بينما استند مات على اطار الباب يراقبها وهي تفعل ذلك وابتسامة طفيفة تعلو شفتيه . ومجرد تواجده في المطبخ كان يثير فيها الاضطراب ولم تجد مخرجاً لذلك إلا الغضب .

ـــ لقد جئت مبكراً . أخبرتني جدتي أنك كنت ستصل بعد الظهر .

ـــ لم أتحمل بعدك ياعزيزتي ولم استطع الانتظار أكثر من ذلك .

ـــ لاتقل ياعزيزتي !!

فتحت باب الخزانة بغضب باحثة عن علبة الإسعافات الأولية

ـــ وكيف استطعت أن تقطع المسافة من لندن إلى هنا في هذا الوقت القصير ؟

ـــ لم أقطعها .... فقد جئت بالسيارة وليس بالطائرة

اتصلت بكات عندما كنت على بعد عشرين كيلومتراً .

من محطة للبترول .

ـــ حركة خبيثة منك ...

وجدت علبة الإسعافات حيث تحتفظ بها جدتها .

نظرت آنا إلى مات وهي تضع المطهر على يدها

ـــ لماذا أتيت على كل حال ؟ قلت لك أنني أريدك أن تتركني وشأني .

ـــ لايهمني ماتقولينه ... ولا أظن أنك تصدقين أنني سأنصاع لما تقولينه ... هكذا وبكل بساطة .

ـــ ليس لديك خيار آخر ـــ أليس كذلك ؟ إلى جانب أنني لا أعتقد أنك تريد أن نتابع هكذا ... فقد تحولت حياتنا إلى مهزلة .

ـــ إذا كان رأيك كذلك في حياتنا الزوجية وكان علينا أن ننهيها فوفقاً لشروطي أنا وليست شروطك

ـــ حقاً ... ؟ أنت لاتستطيع تحمل فكرة أن يعرف الناس أنني تركتك أليس كذلك ... لاتخف فلق أقول لأحد هذه المعلومة .

ـــ لا تضغطي عليَّ آنا ... (نظر إليها بطريقة جعلت القشعريرة تجتاح جسمها) أليس من المعتاد أن يقدم مشروب للضيوف لديكم !

ـــ أنت لست ضيفاً

ـــ حسناً ... ولكني قدتُ سيارتي لمسافة طويلة وأنا متعب وبحاجة إلى بعض القهوة .

ـــ إذن ... هل تظن أنني سأكون مضيفتك . إذا كنت ترغب في شيء ما عليك إلا أن تخدم نفسك . فأنا بحاجة إلى حمام .

ـــ شكراً ... حسنُ ضيافتك يذهلني

ـــ آه .. اذهب إلى الجحيم .

لقد شعرت بتأنيب ضمير اتجاهه فقد بدا لها متعباً بعد الرحلات الكثيرة التي قام بها خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية .

ولكن ... لم يطلب منه أحد أن يقوم بهذا المجهود . وعلى كل حال . فالمجيء إليها كانت فكرته هو .

اغلقت على نفسها باب الحمام . ونزعت عنها ثيابها الملطخة بالطين

نظرت إلى نفسها في المرآة ، بدت لها صورة فتاة شاحبة ذو شعر أشقر ناعم . ابتعدت بسرعة فلم تكن ترغب في تذكر كلمات مات ولا اللحظات الحميمة التي قضتها معه في يوم من الأيام . فتلك الذكريات من شأنها أن تضعف موقفها . ومن الأفضل أن تتذكر مات وهو يعانق سارا فذلك سيحي فيها الغضب ويشعله باستمرار .

بقيت في الحمام لفترة طويلة وما أن طردت من رأسها جميع الأفكار . حتى سمعت مات يناديها عند الباب .

ـــ آنا ... هل أنت بخير ؟

لم تجبه ... ماذا يفعل هنا .. ؟ وما الذي يريده منها ؟

كانت كلماته تقول دائماً إنه لن يلحق بها إذا ماخطر لها أن تتركه .

إذن .. ما الذي يفعله هنا ؟

ـــ آنا ... أجيبي قبل أن أحطم ذلك الباب اللعين !!

ـــ اذهب من هنا .

ـــ إخرجي في الحال ... (أصبح صوته أكثر طبيعية) كانت تعد لنا العشاء . على الأقل يمكنك أن تتناولي ماتعده .

ـــ لا أريد أن اتعشى أي شيء .

ـــ بل ستقومين بما آمرك به

ـــ اذهب الى الجحيم .

سمعته يحاول فتح الباب بالقوة ، ولسوء حظها لم يقاوم الباب القديم أكثر من لحظة واحدة . غطست آنا في الماء عندما شاهدت مات يقترب منها .

ـــ لقد حذرتك (قال بمرح)

ـــ إخرج من هنا ... إنك مخادع وحقير . كيف تسمح لنفسك بالدخول هكذا . (حاولت جاهدة أن تخفي جسمها بقطعة القماش القريبة منها)

ـــ هل أعتبر هذا خجلاً ياعزيزتي ؟ تفاجيئني بتصرفك هذا

ـــ هيا ... إخرجي من هنا أو أنك تريدين أن تنزلقي مع الماء .

ـــ يالك من متوحش .

ـــ هكذا إذن ... أنصحك في هذه الحالة أن ترتدي شيئاً وألا تتصرفي كالأطفال المدللين ... هيا .

وقفت آنا في المغطس وهي ترتجف من البرد .

ـــ أنا أكرهك .

كانت أسنانها تصطك . جففت نفسها بسرعة . وأرتدت أول ماوقع عليه نظرها عندما فتحت الخزانة ونزلت إلى الطابق السفلي وقد لفّت شعرها بمنشفة جافة .

كان مات قد صنع لنفسه فنجاناً من القهوة . أعطاها فنجاناً فور دخولها

ـــ اجلسي وسأقوم بتجفيف شعرك .

قال ذلك وهو يهم بأخذ المنشفة

ـــ لاحاجة لذلك . أستطيع أن أقوم بذلك . شكراً لك .

كانت ماتزال ترتجف ... لم تستطع حتى النظر إليه .

ـــ لا تكوني هكذا .

اقترب منها . نزع المنشفة من رأسها وبدأ بتدليك شعرها بلمسته المألوفة .

ما أن جفف شعرها حتى بدأ بتمشيطه ورفع الذؤابات الناعمة التي كانت تحيط بجبهتها . رقبتها . اجتاحت كيانها مشاعر ظنت أنها استطاعت أن تخمدها . رفع ذقنها بأصابعه . نظرت إليه ولم تستطع أن تخفي أو تتجاهل مشاعرها نحوه .

ـــ آنا (قال بصوت هامس) أريد تقبيلك .

للحظة نسيت آنا كل ماكان بينهما من خلاف . لم تعد تتذكر إلا حاجتها إليه .

دقت الساعة معلنة الوقت . تنبهت آنا إلى موعد عودة جدتها . إلا أنه شدها إليه ثانية قائلاً .

ـــ لا تقلقي لدينا الكثير من الوقت .

استجمعت آنا أفكارها محدقة فيه .

ـــ يالبرود أعصابك . وماذا تعني بـ « لدينا الكثير من الوقت » ؟

ـــ لدي ستة أسابيع إجازة سأقضيها بالقرب منك .

(نظر إلى قميصها الأسود) ألا يمكنك ارتداء شيء آخر بدلاً من هذا ... تبدين مريضة ومتعبة .

تجاهلت آنا كلماته . أخذت شعرها إلى الخلف وسألته :

ـــ هل تقصد أنك ستقضي اجازتك هنا ؟

ـــ وماذا غير ذلك . أنت زوجتي ... ومن الطبيعي أن يقضي الرجل الاجازة مع زوجته .

ـــ أو صديقته (بادرته بعصبية)

ـــ ولكني اخترتك أنت . أيتها الفتاة المحظوظة .

حاول أن يظهر بعض الدعابة الا أن آنا لم تجد في كلماته أي شيء من الدعابة .

ـــ لايمكنك البقاء هنا !!

ـــ ولمَ لا ... ؟ ومن سيعارض . لا أظن أن كات ستعارض هذه الفكرة ؟ بالإضافة إلى ماقلته لك سابقاً . لايمكنك أن تتركيني هكذا . وبهذه السهولة . ابتعدت عنه آنا ... لم تكن لتستطيع تحمل مزاجه ومزاحه أكثر من ذلك . حاولت تجاهله .

دخلت كات وهي تحم ويبستر بين ذراعيها .

ـــ أهلاً مات ... أظن أنني سمعت صوت سيارتك لابد وأنكما كنتما تتحدثان في أمور ممتعة أليس كذلك ؟

وضعت ويبستر على الأرض ليركض إلى مكانه المعتاد .

ـــ ادخلت ويبستر الى الداخل لأنني وجدته يرتجف من البرد

ـــ صحيح ... لقد اصطدته اليوم من النهر ياجدتي . لقد وقع في النهر وعلق بين النباتات المائية اللزجة .

ـــ يالهي . هل تظنين أن أحدهم قد رماه في النهر . ومن يجرؤ على أذى حيوان لطيف مثله ... وهنا بالذات في هذه البلدة ... يالهي ماذا جرى للناس وللحياة ولكن على كل حال سيحصل على عشاء فاخر بعد هذه المحنة على ذكر العشاء . هل قام أحدكم بمراقبة الطعام في الفرن .

ـــ نعم لقد قمتُ بذلك . (قال مات) لقد نضج وأظن أن طعمه لذيذ .

ـــ سأغسل يديَّ ومن ثم نتناول عشاءنا .

الفصل الخامس

أخذت كات تحدث مات خلال وجبة العشاء وكأن الأمور كانت تسير سيرها الطبيعي . بينما شعرت آنا بالغربة أخذت تراقب الشخصين الجالسين معها وتراقب نفسها أيضا وكأنها انسلخت من المكان .

« كم نبدو متحضرين ولطفاء » . نحن الثلاثة . ولم تستعجب من رغبة جدتها بالانسحاب إلى سريرها باكراً .

تركتهما جالسين الواحد مقابل الآخر في غرفة الجلوس وكأنهما غريبان التقيا للمرة الأولى . أخذت مات ينظر إليها وهو مستلقٍ على مسند الكرسي .

ـــ مابك . هل ترى شيئاً على أنفي ؟

ضحك بصوت عالٍ .

ـــ لا ... فأنفك جميل وناعم كالعادة .

نظرت إليه بغضب وتحذير

ـــ اسمع لاتبدأ مرة أخرى . فأنا لست بحاجة إلى مثل هذه الملاحظات وخاصة الآراء الشخصية ... لقد أتيت إلى هنا لنتحدث . ولكن لاتتوقع مني أن استمع إلى كل مايحلو لك قوله .

ـــ هذا تصرف سلبي منك . أليس كذلك ياعزيزتي ؟

كيف تظنين أنه ستتوصل إلى حل مشكلتنا إذا كنت ترفضين مبدأ المساومة والتفاوض ؟

ـــ ماذا تعتقد نفسك فاعلاً ؟ تعقد اجتماعاً دولياً

تحفه الدماء من كل صوب ؟

ـــ الموقف مشابه تماماً .

ـــ آه ... بحق السماء (قالت بغضب) تتحدث وكأنك تجلس على طاولة الاجتماعات تناقش مشاريع تجارية أو مالية .

ماذا عن المشاعر والعواطف ؟

ـــ قولي أنتِ .. الحب .. لم ألاحظ أنك أخذتِ بعين الاعتبار عواطفي عندما هربت وتركتني لوحدي في نيويورك ؟

لقد ظهرت كالأبله تماماً .

ـــ وهذا كل مايهمك في الموضوع ؟ « لقد بدوت كالأبله »

حسناً . هذا سيء . ولكنك الآن تعرف ماهو شعوري خلال الأشهر الماضية .

لهجتها الحادة أزعجته وأقلقته . لاحظت ذلك من خلال الخطوط العميقة التي تكونت حول فمه ومن القسوة التى ظهرت في عينيه الرماديتين .

ـــ آنا ... (قال من بين أسنانه) ستكون فكرة جيدة لو أننا تصرفنا

كأناس متحضرين . لم آتِ إلى هنا لأدخل في صراع معك ، أظن أننا تجاوزنا هذه النقطة .

ـــ أنا أوافقك في هذا . فالصراع يعني أن هناك بقايا عاطفة ما حتى ولو كانت أنقاضاً . أعتقد أنه الموقف بالنسبة لنا كمن يضرب ميتاً !!

ـــ ياليها من ألفاظ ساحرة .

نهضت آنا واتجهت إلى النافذة وأخذت تحدق في الظلام

كانت قد بدأت تهطل الأمطار وابتلت قطع الأرض فوق النوافذ ... تمنت أن تكون القطة قد وجدت لنفسها مكاناً دافئاً تنام فيه .

ـــ لماذا أتيت إلى هنا ؟ « سألته بهدوء »

ـــ كان يجب أن أراكِ .... دعينا نواجه الأمر ، لايمكنك إنهاء علاقة بهذه الطريقة . على الأقل كان يجب أن تخبريني . (ضحك ... ضحكة قاسية) غضبت كثيراً عندما اكتشفتُ هربك . كان بودي لو أنني ألوي عنقك الجميل هذا ولكني عدت ... وهدأت نفسي وقلت أنه لابد لك من أن تهدىء عندما تصلين إلى هنا وبعد عبورك نصف المحيط . وأظن أنه علينا أن نناقش المسألة بمنطقية أكثر .

استدارت لتواجهه

ـــ هل تعتقد أنني لست منطقية ؟

ـــ ألا تعتقدين ذلك ؟ .

نظرت إليه آنا بغضب طوال حياته كان ذلك المتغطرس الواثق من

نفسه . لم تعرفه في يوم من الأيام متخاذلاً أو خاسراً . ماعدا في مسألة زواجهما ... حتى هذه المسألة لم تكن خطأه لوحده . على الأقل لديها الجرأة لتعترف بذلك .

ولكن هذا لايعني أنها غير مخلصة له .

سمعت مات يتنهد بقوة

ــ ألا تعتقدين أنني عشت في الأحزان والحزن وقتاً طويلاً

وبصراحة لقد التقيت من نظرات الاستشهاد والنوم في الغرف الاحتياطية .

احكمت قبضتي يديها ، متمنية لو أنها تستطيع أن تضربه .

ــ أنت قاسي القلب وعديم الإحساس .

ــ تقولين ذلك لأنني لا أسمح لنفسي بأن تنغمس في شعور الشفقة على النفس مثلك ؟

الآن لم أسمح لحزن مرَّ في حياتي بأن يهيمن على حياتي كلها (نهض من كرسيه غاضباً) دانييل كان إبني أيضا يا آنا وليس ابنك وحدك . لقد أحببته أيضاً (أصبح قوته أنعم) لقد أحببته أيضاً . ولكنك لم تعيري تلك الحقيقة أياً من اعتبارك ... لم تبالي في يوم من الأيام بالاهتمام بمشاعري . ألم تكن الأمور هكذا ؟ لقد ابعدتني عن حياتك وبكل بساطة رافضة مواجهة أية حقيقة . (رفض أن يتركها تتحدث عندما شعر بها تهم بذلك) ولكن كما تقولين ... لقد تأخر الوقت . وكل مايمكننا فعله الآن هو التقاط

ماتبقى والذهاب كلٌ في طريقه . أهذا ماتريدين قوله ؟ . أجيبي أه ماتريدين قوله ؟ صدمت آنا بسؤاله المباشر ، لم تستطع الرد ولم تعد قا على استجماع الكلمات التي كان يود أن يسمعها

ــ هل يتحتم علينا أن نتحدث عن ذلك الليلة ؟

ــ نعم يجب أن نتحدث ياحبيبتي ... في الماضي كنا نشكل جسـ وروحاً واحدة . أما الآن فقد أصبحنا اثنين . وهناك أشياء يجب نحددها ونتحدث عنها قبل أن يحدث ذلك الشيء الكريه الذي تتحدا عنه . إلا ... إذا كنت تفضلين أن يكون الحديث عن طريق المحامين

جعلتها تلك الفكرة تشعر بالغثيان فلا يمكن أن تسمح للغرباء ؛ مشاكلها الخاصة مع مات . والحل الذي اقترحه أقل إيلاماً لها .

شعرت بشفتيها تتجمدان وهي تقول .

ــ حسناً ... قل ماتشاء فأنا استمع .

شعرت بشعور يخدر جسمها وهي تسمعه يطلق القرارات تماماً يفعل في مايخص الأعمال التجارية . تكلم ببرود وكأنه يناقش أ الطقس . أدركت عندها أنه لن يكون حزيناً من قرارها بالانفصال بل العكس سيرحب به كثيراً .

أما بالنسبة لآنا ... كان القرار رهيباً ... نعم فانتزاع نفسها حياتها معه لابد وأنه سيكون أكبر عذاب

ــ هذا عائد لك (كان يقول) وكل ماأطلبه منك أن يكون

شيء على أساس متحضر ... دعينا الآن نرى مالدينا

أظن أننا شخصان لم يستطيعا إنجاح زواجهما . وأنا لاأحب الفشل .... لا أستطيع استساغة هذه الحقيقة

(نهض من مكانه) سأعد فنجاناً من القهوة .... هل تريدين فنجاناً ؟ .

— ماذا ... آه .. نعم ... أرجوك .

ارتاحت لهذه الفكرة لأنها ستبعدها عن مناقشة هذا الموضوع ولو للحظات .... لحقته إلى المطبخ وبدأت باعداد الفناجين والملاعق بينما انهمك مات باعداد القهوة .

لكن يديها أخذتا ترتجفان لدرجة أنها أسقطت من يدها وتحول إلى قطع صغيرة على الأرض .

— ياالهي

تمتمت بصوت منخفض . انحنت محاولة التقاط الأجزاء المبعثرة فجأة شعرتْ بالدموع تملأ مقلتيها . ولم تعد ترى أي شيء مكثيت حيث هي وقد أطلقت لدموعها العنان بيأس بالغ .

— كفى آنا (قال بنعومة) أرجوك لاتبكي .

لم تتحمل نبرة الشفقة التي بدت في صوته . ثم قالت له :

— اتركني لوحدي . هل تسمع ؟ فقط اتركني لوحدي .

أشرقت شمس اليوم التالي متلألئة وبدأت بتجفيف آثار الأمطار التي

هطلت الليلة الماضية . استيقظت آنا مبكرة بعد أن قضت ليلة مضطربة . تركت آثارها على وجهها وحول عينيها .

كان البيت غارقاً في الهدوء . دخلت الحمام ولاحظت الرطوبة التي تعم المكان ورائحة معجون الحلاقة ... أدركت أن مات قد استيقظ قبلها .

وجدت إبريق القهوة مازال ساخناً في المطبخ . صبت آنا لنفسها فنجاناً وجلست تنتظر .

كانت تعرف أن مات قد ذهب في جولة صباحية في الغابة المجاورة . تلك كانت عادته ومهما كانت درجة الحرارة صيفاً وشتاء ... في بداية زواجهما كان يهرع إلى ايقاظها لدى عودته ويأخذها بين ذراعيه لتستنشق عبير الغابة وبرودة الصباح .

فنهضت آنا بانزعاج ... لماذا تشعر بالحنين إلى تلك الأيام .

لماذا تشعر بالشوق إليه ...

لو أنه يظهر أمامها الآن ... لو أنه يهرع إلى احتوائها ...

سمعت صوت صفيرة وهو يجتاز بوابة الحديقة . بدأت نبضات قلبها تتسارع لاهثة ... جلست بدون حركة تنظر إلى فراغ الباب ... فجأة ملأه بجسمه الرياضي ... كان يرتدي الجينز والقميص المفتوح حتى الصدر والذي يظهر ضخامة جسمه .

رآها ... توقف للحظات وأخذ يحدق فيها .

ـــ صباح الخير ... كيف تشعرين اليوم ؟

ـــ لابأس .. شكراً لك . هل تمتعت بنزهتك الصباحية ؟

ـــ نعم .. إنه صباح جميل ... وصلت حتى القصر المهجور .

« يا للآدب الذي نتعامل فيه » فكرت آنا . تماماً كالغرباء وكأنه لم يكن بينهما في يوم من الأيام تلك العلاقة الحميمة بين الأزواج

ـــ ماذا تحب على طاولة الإفطار ؟

ـــ أنا ... كاد أموت من الجوع . لابد وأن ذلك بسبب الهواء العليل مارأيك بالبيض وشريحة من اللحم .

شعرت بالغثيان لدى سماعها لتلك الأصناف من الطعام في الصباح الباكر . ولكنها ابتسمت له واتجهت إلى البراد

ـــ من المؤسف ألا يقوم أحد ما بترميم ذلك القصر المهجور . (قال مآت) مكان كذلك المكان لايجب أن يندثر هكذا .

ـــ سيكلف غالياً إعادة بنائه ... أهذا السبب لم تشتره الشركة ؟

ـــ نعم ـــ لقد أقر مجلس الشركة أن تكاليفه لاتتناسب مع الفائدة المرجوة منه .

قام بتحضير القهوة الطازجة . بينما وضعت آنا بقية الأطعمة على الطاولة .

ـــ ألن تتناولي أي شيء ؟

ـــ لاأستطيع ... ليس في هذا الوقت من اليوم .

عبسَ قليلاً

ـــ أنت لاتأكلين بالشكل الكافي ... بهذه الطريقة ستمرضين . حدقت فيه للحظات .

ـــ مات ... بعد ثمانية عشر شهراً من الزواج والوقت الطويل من الحياة الزوجية . هل يعقل أنك لم تلاحظ أنني لا أتناول شيئاً على الفطور . (قالت بنفاد صبر) بحق السماء هل يعقل أنك لم تلاحظ ؟

ـــ بالطبع لاحظت . وكيف لم ألاحظ وأنا أراك تذوبين يوماً بعد يوم أمامي ؟ هل هذا اعتاب لتشعريني بتأنيب الضمير ؟

ـــ لا تكن نافهاً ... ولماذا أشعرك بتأنيب الضمير ؟

ـــ يعلم الله ... ربما يعود ذلك إلى افكارك السخيفة عني وعن سارا .

ـــ آه ... سألت نفسي متى ستأتي على ذكرها ... العزيزة سارا .. هل تعرف أنني تركتك ؟

ـــ في الواقع ... نعم تعرف .

ـــ استغرب لماذا أنت هنا ... بدلاً من أن تكون معها في بيتها الصيفي الرائع في ماليبو .

ـــ لابد وأنك تمزحين . ماليبو ... لم يخطر ببالي في يوم من الأيام أن أقضي أجازتي فيها .

ـــ حتى ولا بصحبة سارا ؟

ـــ خاصة مع العزيزة سارا . (وضع الشوكة والسكين من يده ونظر إليها عبر الطاولة) اسمعي آنا ... يجب أن تفهمي أن مابيني وبين سارا ...

ـــ وماذا علي أن أفهم ؟ .. لقد رأيت كل شيء . كل ما أنا بحاجة إليه لكي أفهم ... في نيويورك أتذكر ؟

ـــ وماذا رأيتِ في نيويورك ... هل تقصدين تلك القبلة .

لقد كانت قبلة تافهة ولم يكن هناك من شيء آخر .

ـــ حقاً .. ؟ .. (بدا صوتها مليئاً بالعتاب) حسناً أنا آسفة لا أستطيع أن أكون متفهمة ومتحررة بالنسبة إلى هذا النوع من العلاقات . هكذا أنا ... تحكمني التقاليد البالية .. أعرف ذلك . ولكني أعتقد أن وعودا لزواج يجب أن تحترم .

تنهد مات بقوة .

ـــ حسناً . ولكن ما أود أن أعرفه . مارأيك حول المسامحة ... أليس هذا جزءاً من تلك الوعود .... وأنت تعرفين ذلك .

التقت عيونهما ... هزت آنا رأسها بيأس

ـــ لا أدري يامات يجب أن تعطني الوقت للتفكير حول هذا الموضوع

نهضت واتجهت إلى غرفة الجلوس . كانت قدماها ترتجفان من الأنفعال .

أزاحت الستائر وفتحت النافذة سامحة للهواء المنعش بالدخول

استنشقت رائحة التربة والأعشاب الندية بعد المطر .

حدقت في الزهور المنحنية المحملة برذاذ المطر .

انفتح الباب خلفها ودخل مات الى الغرفة . لم تكن بحاجة للاستدارة لتتأكد من دخوله . فقد شعرت بقربه وسمعت تنفسه الناعم وأحست بحرارة جسمه ما أن وقف بجانبها يحدق إلى الحديقة .

أخذ يمرر أصابعه على شعرها ويتخلله بأصابعه .

ـــ ألا يمكن أن نبدأ من جديد ؟

سألها وهو يشدها إليه

ـــ عودي معي آنا ... أنت تنتمين إلي ... أنا بحاجة إليك .

اغمضت عينيها كانت تود لو تستطيع تصديقه ونسيان مخاوفها وآلامها والتمتع بما كان يعرضه عليها . كم هو سهل أنه تقوم بما يقوله لها والعودة معه .

ولكن إلى ماذا ... ؟

إلى حياتهما كما كانت من قبل ؟ الوحدة ؟ انتظاره لساعات إلى أن يعود إلى البيت . إلى الشركة والى الصداقات المزيفة . وإلى سارا بالطبع .

نعم سارا ... تلك المرأة التي كانت دائماً تقف لها بالمرصاد وتعترض طريق سعادتها مع زوجها .

ابتعدت عنه إلى أقصى الغرفة ... لم يكن باستطاعتها التفكير وهي قريبة منه ... لقد كانت مدركة لهذه الحقيقة ... أما الآن فهي بحاجة إلى عقلها وليس إلى قلبها .

ـــ لماذا ؟ .. مات ؟ أنت لست بحاجة إليّ . أنت أكثر الرجال أنانية في العالم . (منعته من التكلم) لا ...

دعني أكمل حديثي . أعرف أنك تكره الفشل وتركي لك بهذه الطريقة سيؤذي كرامتك ...

أهذا تريدني أن أعود إليك ؟ وبهذا نقدم صورة جميلة للزواج الناجح أمام عائلتك وأصدقائك ؟

لاتنسَ أني رأيتك مع سارا ... كان عليك أن تتزوجها هي ... فهي أكثر ملائمة لك . وهي ماتنفك تشعرني وكأنني دخيلة على حياتك وحياة مجتمعك

ـــ هذا جنون

ـــ لا ... إنه ليس كذلك . ولكنه ما أشعر به في الواقع أنا أعرف أنها تريدك . وأعرف أيضاً أنه لا أمل لنجاح زواجنا طالما أنها تحوم حولنا

استدار إليها وقد لبس وجهه قناعٌ من الغضب العارم أمسكها من ذراعيها غير مبالٍ بما تسببه أصابعه القوية لها من آلام وضمها إليه بقوة .

لم تعد آنا تدري كيف تتصرف من فرط الوحشية التي ظهرت في عينيه .

حاولت أن تخلص نفسها منه ولكنها شعرت به يسيطر عليها

« لم يعد هناك من أمل » ابتسم ابتسامة المنتصر

ارتجفت آنا عندما فهمت معنى تلك الابتسامة .

ـــ أرجوك ... أرجوك لا ... ليس هناك من أمل

لقد انتهى كل شيء .

ـــ هل تعتقدين حقاً أن كل شيء قد انتهى ؟

هل تنكرين تأثيري عليك ... هل تقولين ذلك

هل تعتقدين ذلك .. أجيبي ؟

فتحت عينيها ونظرت إلى صورتها المنعكسة على عينيه السوداوتين ... كلياً .

ـــ مات .... (خرج صوتها ضعيفاً وغير مقنع)

فجأة سمعا صوت كات قادماً من المطبخ .

ـــ ياللجحيم (شتم مات لدى سماعه صوتها)

فرت من أمامه وخرج مسرعاً إلى الحديقة

استقامت آنا وسارعت إلى ترتيب ملابسها وشعرها ورسمت ابتسامة على وجهها .

ـــ أنت هنا ؟ ... أين مات ؟ هل تناولتما افطاركما ؟

ـــ خرج مات في نزهة ... وقد تناولنا افطارنا .

(كان في صوتها انزعاج من تدخل جدتها في الوقت غير المناسب . ولكنها في نفس الوقت كانت فرصة لتخلصها من الموقف الذي كانت فيه) هيا جدتي سأعد لكِ إفطارك ... ماذا تودين على الفطور ؟ .

ـــ قهوة فقط ... شكراً لك ياحبيبتي ولكنكما استيقظتما باكراً على مايبدو هذا اليوم ؟

ـــ نعم ... فزوجي معتاد على النهوض عند الفجر . إنها عادة اكتسبها من خلال عمله في آبار البترول .

ـــ ولكنها عادة جيدة ... فأنا لا أحب أولئك الذين يبقون في الفراش حتى منتصف النهار ... حسناً ألا تصدقين ذلك ... انظري إلى هذا

أشارت بيدها إلى المنطقة الواقعة خلف الباب حيث رأت آنا ويبستر محدداً وكأنه مالك ذلك المكان فارداً أطرافه الأمامية بتكاسل ومن ثم الخلفية وأخذ بعد ذلك يتمشى في المطبخ . ضحكت آنا من منظره .

ـــ صباح الخير ... بوسي ... هل أنت جائع ؟

وضعت بعض السكر على قليل من الحليب قدمته له متذكرة المنظر الذي كان عليه عندما انتشلته من النهر البارحة .

ـــ لاتقلقي سأقوم بتدليكه بعد قليل وأضع له بعض المستحضرات التي جلبتها معي .

ـــ جميل جداً ...

اتاهما صوت مات وهو مستند على الباب الخارجي للمطبخ

نظرت إليه آنا منزعجة .. لما أبدته من ابتهاج لدى سماعها لصوته ولكنه كان يرسمها إليها نظرات كلها مرح ورغبة ورسائل تحمل الكثير من المعاني .

عبست بسرعة .

ـــ وماذا تقترح ... أيعيده مرة أخرى إلى النهر ؟

اجتاز المسافة الفاصلة بينه وبين مكان تواجد القط

حمله ورفعه عن الأرض قائلاً :

ـــ لا ... طبعاً لا ... فلا يمكن أن اتسنى في يوم من قدم الىَّ خدمة وأنتِ تعرفين ذلك . فهو سبب تعارفنا .

أخذ يدلك فروته بيديه .

ـــ أنتما الاثنان .... ماذا ستفعلان اليوم ؟

ـــ سيكون ممتعاً أن نقضيه معاً اليوم (أجابها هات بسرعة)

نظرت إليه آنا مستنكرة . بحثت عن كلمات ترد فيها عليه لكنها لم تجد :.. ومن قال له إنها تود أن تقضي يومها معه .

ـــ مارأيكما بزيارة إلى المستنقعات ؟

اقترحت آنا وهي تعرف أن أكثر مايزعج مات هو تناول الطعام في الهواء الطلق .

ـــ هذه فكرة جيدة ... وماذا عنك كات ؟

(سألها مات)

ـــ لاتحسبوا حسابي في هذه النزعة فأنا سأقضي اليوم مع هيلين صديقتي .

ـــ إذن لن يذهب إلى النزعة إلا نحن الاثنان

تنهدت آنا بانزعاج .

قام مات بإعداد طعام النزهة بعد الغداء . ولم يخبر آنا بما تحتويه السلة . وعندما سألته أخبرها أنها ستكون مفاجأة .

وهذا ماحدث بالفعل . فلم يتمكنا حتى من الوصول إلى الجسر . لأن السماء امتلأت بالغيوم . تساءلت آنا هل كان ذلك متعمداً من جانبه لإثارة الذكريات القديمة . وقد كانت كثيرة . وثمة روابط كثيرة تربطها به .

تركا السلة تحت قوس الجسر لتحتفظ ببرودتها واتجها نحو المستنقعات . كان الممر ضيقاً ولزجاً في بعض الأماكن تحفه الصخور . سارع مات الى مد يده لآنا .

كان شعوراً جميلاً أن تلتصق به وتتمسك به ... في تلك اللحظة شعرت بالسعادة التي تتملكها وهي بالقرب منه .

وصلا إلى منطقة صخرية وجلسا لأخذ بعض الراحة .

كانت تهب عليهما نسمات دافئة .

جلس مات على صخرة مستوية ساحباً آنا إليه .

ـــ هذا جيد ... بعيداً عن الضغوط والناس .... وتلك هي المشكلة أليس كذلك آنا ؟

ـــ ماذا تعني ؟

ـــ هناك أناس كثيرون حولنا ... نقضي يومنا بالتمثيل والتصنع لإرضاء الناس . نقول أشياء يحبون سماعها فكيف لنا أن يعرف أحدنا الآخر بهذه الطريقة (ضحك بصوت عال) سألتيني اليوم فيما إذا كنت

لم ألاحظ انك لاتتناولين في العادة شيئاً على مائدة الأفطار ... شيء بسيط كهذا .

يمكن أن يكون مثالاً لما أصبحت عليه حياتنا ... لم نعد نحن ... ولا نعد كما كنا في السابق . ولم يعد هناك من شيء حقيقي ... (نظر حوله) هذا فقط حقيقي

لم تجد آنا ماتقوله ... على الرغم من أنها كانت تفهم تماماً مايقوله لها . وماعناه بذلك .

ابتسم لها

ـــ لقد ابتعدت عنكِ كثيراً . وفقدت الاتصال بكل ماهو حقيقي . وبكل مايخص حياتنا حقيقة ... ربما علينا أن نعود إلى الأساس آنا .. نعود إلى حياتنا ومايخصها .

الفصل السادس

مر أسبوع قضاه مات إلى جانب لاينظران إلى الخلف أو إلى الأمام عاشا ليومهما فقط وبدون أي مواقف عاطفية تدفعهما إلى تصرفات يتيما عليها قبل أن يحلا مشكلتهما . إنها فترة لم تكن بالنسبة لآنا إلا فترة تأجيل لاتحل أي شيء .

كان خلالها مات الرفيق اللطيف والحنون والمسلي في آن معاً يحاول جاهداً القيام بكل مايرضي آنا . تحدثا كثيراً ولكن ضمن حدود معنية وفي كل مرة كانت آنا تشعر أن الكلمات التي لم تقال كانت تحفر اخدوداً كبيراً يفصل بينهما .

اتجها الى الشاطىء يوم الأحد . واندمجا مع السياح .

قاما باستكشاف الشوارع الضيقة والمحلات الخاصة بالأثريات القديمة . شعرت آنا بقربها من مات أكثر من أي وقت مضى .

ضحكا معاً ، آكلا الأيس كريم على الشاطىء . انضما إلى لعبة كرة القدم التي كان يلعبها الأولاد على الشاطىء . سارا حافيين على الرمل . كان خلالها يتقربان من بعضهما لأول مرة في حياتها تشعر آنا بالأمان والسعادة وهما عائدان إلى البيت . لأول مرة لاترى تلك الحدود التي تفصل بينهما وكأن كل ماكان من خلاف لم يعد موجوداً .

نظرت إليه وابتسم لها . وضعت يدها باغراء على يده الموضوعة فوق وقود السيارة . ضم أصابعها باحكام آخذاً يدها الى شفتيه ومقبلاً إياها بدون أن تترك عيناه الطريق

ـــ بماذا تفكرين ؟ سألها .

تنهدت واستندت على ظهر مقعدها

ـــ كنت أفكر بمقدار السعادة التي منحتني إياها اليوم . ولكن للأسف لقد شارف اليوم على نهايته .

اتجه بالسيارة الى قارعة الطريق وتوقف .

استدار إليها ... لمعت عيناه من خلال الظلمة التي كانت تحيط بهما . وشعرت بمداعبته إياها .

ـــ ولماذا ينتهي ... ؟

ـــ كان يوماً رائعاً مات ... تماماً كالحلم ... والأحلام لاتدوم أليس كذلك ؟

ـــ أنت ياعزيزتي متشائمة . وبحاجة إلى درس في مجال التفكير الإيجابي .

ـــ أنا لست متشائمة (صاحت) بل واقعية . تذكر المثال القديم الذى يقول الذي احترق مرة ... ؟

ـــ هناك قول قديم آخر يقول : « الذي يتردد كثيراً يفشل كثيراً » ... وأظن أننا ترددنا كثيراً في الفترة الماضية .

ـــ عليك أن تعلمي أنني لست بالرجل الصبور . لقد ابعدتني بما
، الكفاية . ولابد وأنك تدركين انه لايمكن الاستمرار على هذه الصورة .
س كذلك ؟ .

ابتعد عنها .... لاحظت آنا خيبة الأمل الذي يعاني منها . .

والتي تعاني منها في آن واحد .

ـــ أظن أنه من الصعب عليكِ الاعتراف بذلك . ولكن الوضع
مالي يوترني ويوترك أنتِ أيضاً .

حمدت آنا ربها أن الظلمة كانت تعم المكان لأنها لم تكن تريد في
ال من الأحوال أن يظهر الانفعال الذي ارتسم على وجهها . خاصة وان
لماته كانت تحمل الكثير الكثير من الصدق .

ـــ الأمور ليست بهذهِ البساطة .

ـــ إن الأمور تبدو صعبة أو سهلة وذلك حسب تعاملنا معها .
لال الأسبوع الماضي تحدثنا كثيراً ولكننا لم نتطرق إلى الموضوع
أساسي والذي علينا البت فيه . ألا وهو علاقتنا ومستقبلها (أخذ نفساً
ميقاً) لدينا خياران ياحبي ... إما قطع العلاقة والهرب من المواجهة او
ستمرار وجعل الأمور تسير بشكلها الصحيح .

ـــ ولكننا نتحدث عن الزواج الذي جئنا وليس عن إدارة شركة ما .
اعترضت آنا . فقد كانت تكره تلك الطريقة الباردة التي كان يعالج فيها
أمور)

ـــ أعرف ذلك . اللعنة . ولكنه لن ينفع إذا ما استمرينا على هذه
الحالة . يجب أن تكون موضوعيين .

ـــ آه يالإلهي ... حسناً لنكن موضوعيين .. تحدث .
اقنعني بأنك على حق وأنا على باطل .

ـــ حسناً . علينا في البداية أن نقيم مالدينا ومانود أن نحصل عليه
ونصل إلى نوع من القناعة . وهذا يفترض طبعاً أن نكون معاً .

ـــ آه ... حسناً أوافق . القناعة دائماً أفضل الحلول وتعني أن أقوم
بكل مايرضيك وتستمر أيضاً في حياتك ؟

ـــ لن نصل إلى أي قرار إذا تابعت المناقشة على هذه الصورة .

ـــ آه ... آسفة ... لم أدرك أننا نتحدث بجدية .

ـــ بالطبع نتكلم ونناقش بشكل جدي . والآن ماذا كنت أقول ؟ .

ـــ قناعة ما . (ذكرته بسخرية)

ـــ آه .. حسناً بالإضافة إلى ذلك . نحن نحب بعضنا
أليس كذلك ؟ ولا تجدينني مملاً ؟

ـــ لا ... من المؤكد أنك لست مملاً ، بل على العكس تماماً .

ـــ وأنا مكتفٍ ... عليك الاعتراف بذلك ؟

ـــ ماذا تعني بذلك ؟

ـــ أقصد أنه لدي راتب محدد ومعلوم . ولم تتعرض معي لأي نوع
من الحرمان أو الجوع . ولم أقصرّ ناحيتك مادياً .

— ولكن هذا لايعني أي شيء ... فأنا لم أتعرض للجوع فى قبل في بيتي أيضاً وعلى كل حال هذه مسألة نسبية فأنا لم أتزوجك لأنك كنت دقيقاً في مواعيدك أو لأن لديك مركزاً مرموقاً في الشركة ، بل لأنني كنت أحبك .

— « كنت أحبك » في الماضي ؟

سألها بصوت منخفض

— كما قلتُ لك قبلاً ... الأمور ليست بهذه السهولة أو أنها لم تعد كذلك .

— موافق . ولكني لست موافقاً أن الأمور التي تستحق أن ندافع من أجلها تعتبر سهلة . وقضينا ليست سهلة . الأجدر بك أن تأخذي الخط الأساسي وتبني عليه كل شيء .

— وماهو الخط الأساسي في نظرك ؟ (سألته بهدوء)

— أنت ، أنا والأمر الذي بيّ متأكداً منه مئة بالمئة وهو أنك لاتريدين في قرارة نفسك أن تنهي هذا الزواج وأنا كذلك متأكد من ذلك . أليس هذا كافياً ... أليس هذا كافياً آنا ؟

بدا صوته ناعماً ولكنه مقنعاً .

لدينا الكثير لندافع عنه (تمتم بصوت خافت) قولي نعم .

هذا هو الخط الأساسي ...

نعم هذا هو الخط الذي يجب أن تعتمد عليه في قرارها .

وعلى كل حال ... قربها منه

وعلى الرغم من أنها لم تقل شيئاً إلا أن مات شعر بقرارها وابتسم لها . استرخى قليلاً .... إلا أن ذلك الاسترخاء لم يدم طويلاً لان ماحصل عليه للتو ماهو الا بداية وعليه أن يتصرف بعناية لألا يفقده . وعلى كل حال فكل رحلة تبدأ بخطوة أولى .

— هل نذهب إلى البيت ؟

شعرت بأنها أصبحت موافقة

لم يكن يريدها أن تستسلم بدون تفكير وبدافع من عاطفتها . أراد أن يعطيها فرصة أخرى قائلاً :

— دعينا نذهب إلى البيت .

لم تجبه ولكنه سمع تنهيدتها في الظلام .

سمعا رنين الهاتف من خارج المنزل لدى وصولهما إلى الطاحونة اسرعت آنا ورفعت السماعة معتقدة أنها جدتها تحدثها من اسبانيا . بدلا من ذلك أتاها صوت نسائي يقول :

— هل أنتِ السيدة تينانت ؟ أنا وندي هوب سكرتيرة السيد مات . آسفة للإزعاج في مثل هذا الوقت . ولكن هل بإمكاني التحدث إلى السيد مات ؟

للحظة من اللحظات انتابت آنا رغبة جنونية في انكار وجود مات عندها . إلا أن نبرة القلق التي كانت في صوت وندي أنبأتها بوجود حضر ما .

دخل مات الى الغرفة . نظرت إليه وكأن شيئاً ثميناً يذهب من بين أصابعها . ناولته السماعة .

ـــ إنه لك .... سكرتيرتك .

ـــ اللعنة ماذا تريدني مثل هذه الساعة ؟ بالإضافة إلى أننا اليوم في إجازة

ـــ من الأفضل أن تسألها .

ـــ مرحباً وندي ، لابد أنها قضية حياة أو موت .

أنسيت أنني في إجازة ؟

استمع بعد ذلك وبدون أن ينطق بكلمة واحدة . بدا وكأنه نسيَ وجود آنا في الغرفة . أدار ظهره لها متسائلاً :

ـــ هل من ضحايا ؟

توقف عن الكلام لفترة أخرى بعد ذلك قال :

ـــ حسناً ... يلزمني ساعة لأصل الى المطار بعد ذلك سأكون عندكم أخبريهم أنني سأصل الساعة الحادية عشرة

وضع السماعة واستدار لتقع عيناه على آنا .

ـــ حدث انفجار في أحد الآبار التي ساهمت في انشائه في أحد الحقول ... لقد أصيب العديد من الناس بالأذىٰ .

وقبلها وأستأذن .

ـــ أنا آسف آنا ولكن يجب أن أذهب . ليس هناك من أحد

يستطيع التصرف في مثل هذه الظروف غيري . سيبحثون بطائرة خاصة لجلبي من المطار .

ابتسمت له آنا .

ـــ لا بأس ... أنا أتفهم الوضع . (ولكنها في الداخل كانت تعترض هل من المعقول أن مثل شركتهم لا تملك مهندساً غير مات)

كم من الوقت باعتقادك ستغيب عني ؟

ـــ ليس من طريقة تمكنني من معرفة ذلك . إلى أن أصل الى هناك وأحدد الأضرار بشكل مباشر . ولكني سأعود حالما أتمكن من ذلك . بيننا حديث لم تنهه بعد . فلا تنسي ذلك

كم تمنت أن يبقى معها

أكره أن أتركك هنا لوحدك .

ـــ كنت لوحدي من قبل ، بالإضافة إلى أن ويبستر سيبقى برفقتي .

ـــ هل ستكونين هنا لدى عودتي .

ـــ نعم سأكون هنا . ليس لديَّ مكان آخر أذهب إليه

علمت أحزانها وراحت تعد القهوة بينما انشغل مات في حزم حقيبته . كان معتاداً على الترحال يستعد له خلال خمس عشرة دقيقة فقط . لدرجة أن آنا اعتقدته متشوقاً لترك المكان بأكمله . إلا أن لحظة الوداع ذكرتها بحبه لها به .

بعد ذلك أبعدها برفق ونظر في عينيها مخرجاً من جيبه مفتاحاً في حلقة ذهبية ناعمة .

ـــ هذا لكِ ... إذا أردتِ استعماله .

كان مفتاحها الذي تركته في شقتهما . أمسكته

بيد مرتجفة وضمته إلى صدرها قائلة :

ـــ شكراً لك مات .

ـــ أرجو ألا تضعيه في أى مكان مرة أخرى .

قائلاً هذه الكلمات استدار بسرعة وأسرع إلى سيارته ... بعد أن رأت أضواء السيارة الخلفية تبتعد عن البيت لم تستطع آنا أن تسيطر على دموعها أكثر من ذلك ....

بطريقة أو بأخرى أخذت آنا تملأ ساعات النهار بتنظيف البيت الذهاب إلى لوسي في الصباح . وبدأت بتصميم رسمة جديدة لزبون قديم للمحل قضت على هذا النحو لمدة ثلاثة أسابيع إلى أن عادت جدتها من اسبانيا . كانت تقريباً قد أقنعت نفسها أنها لم تكن تحب مات ولم تكن مشتاقه له .

تقريباً .... وليس تماماً ، فمازالت تركض لالتقاط سماعة الهاتف كلما رن . وتسارع إلى انتظار سيارة البريد عله يترك لها رسالة منه . ليس لأنها متأكدة من أن مات سيكتب لها ولكن ....

شعرت بعدم الثقة بنفسها ، لقد عادت إلى كروس وايت وهى

مقتنعة تمام الاقتناع من عدم حب مات لها . ومن فشل زواجها . تذكرت ذلك الأسبوع الذي قضته مع مات وحيدين والأحاديث التي دارت بينهما .

كان ينمو في داخلها مع مرور الأيام الأمل في لقاء مات . تنظر إلى صورته الموضوعة على طاولة الزينة وتشعر بغمرة من الفرح

فرح لايمكن أن يزحزحه أي تفكير متشائم .

كان لديها مفتاح شقة لندن . إلا أنها لم تكن لتغادر البيت قبل عودة جدتها من اسبانيا . أما من جهتها فقد قررت نهائياً أن تعود إلى مات وتعطي لزواجهما فرصة أخرى .

جاءتها سارا يوم الجمعة في زيارة لها

كانت قد هرعت آنا لفتح الباب . حيث وقفت مصدومة من المفاجأة لعدة ثوان .

ابتسمت لها سارا قائلة وبجرأة .

ـــ مرحباً آنا عزيزتي . ألن تطلبي مني الدخول ؟

قاومت آنا رغبتها في إغلاق الباب في وجه المرأة الأخرى .

أفسحت لها المجال للدخول

ـــ ماالذي أتى بكِ إلى هنا ؟ اعتقدت أنكِ في كاليفورنيا (حاولت جاهدة أن تخفي شعورها نحوها)

ـــ تعرفين كيف تصبح الأمور مملة بعد فترة . نفس الأشخاص

والأماكن (كانت ترتدي الجينز الضيق وقميص أحمر وتربط شعرها الطويل بعقدة تليق بالقميص)

ـــ لقد كنت في طريقي إلى يورك (تابعت سارا) لقد دعتني صديقة لي من أيام الدراسة إلى حفلة . من المحتمل أن تكون مملة ولكن على الانسان ألا يضيع فرصة علها تكون سعيدة . وبما أنني كنت مارة من أمام بيتك فكرت أن أتوقف قليلاً لأحييك . وكما أرى

مات ليس هنا ... هل تعرفين أخباره ؟

ـــ ليس بعد ... ولكن أتوقع أن يتصل بي حالما تتاح له الفرصة لذلك .

ـــ صحيح ... لقد تكلمت معه هذا الصباح وقبل مغادرتي لندن لابد وأنك ستسرين إذا قلت لكِ أنه بخير .

شعرت آنا بغثيان وألم داخلي ولكنها لم تظهر على وجهها أي تعبير ؟ .

ـــ هل قال كم سيغيبي ؟

ـــ لا ... ولكنك تعرفين مات . يكره أن يلتزم بجدول مواعيد (نظرت سارا حولها إلى غرفة الجلوس) حسناً ... هل توصلتم إلى حل ما فيما يخص الأمور بينكما ؟

حدقت فيها آنا .... كانت تكره هذا النوع من التدخل في حياتها .

ـــ ماذا تقصدين ؟

ـــ كما أعرف ... أنك تركته وحيداً في نيويورك . أليس كذلك ؟

لقد جنَّ من مثل ذلك التصرف ... (ضحكت) تعرفين الرجولة المهانة والمجروحة ... والذي لم يستطع أن يصلح الأمور أيضاً .

ـــ لا أفهم ماذا تقصدين . ومادخل أبيك في هذا الموضوع ؟

ـــ حسناً تعرفين حساسيته نحو هذه المواضيع خاصة فيما يخص الحياة الأسرية للعاملين في الشركة . (اخفضت صوتها) بيني وبينك . أبي متعصب نوعاً ما في مثل هذه الأمور .

بالنسبة له لا يكفيه أن يقول الموظف أنه سعيد بل يهمه أن يلمس ذلك ويطمئن على حياته الزوجية . لأن ذلك سينعكس على عمله . ولقد هدد مات من أنه إن لم يسارع إلى إصلاح مابينكما فسيضطر إلى حرمانه من عمله في الشركة

ـــ ولكن هذا مستحيل ... لن يفعل ذلك بإبن أخته .

ـــ أنت لاتعرفين والدي . باستطاعته أن يفعل هذا لي

أنا إذا لم أكن أتصرف بالطريقة اللائقة .

تذكرت آنا المرات القليلة التي رأت فيها جيمس بارات .

لقد كان يبدو صعب المراس ويمكنه أن يفعل ماتقول عنه .

ولكن ماذا لو كانت سارا كاذبة . أم أنها صادقة ... ابعدت تفكيرها عن هذا الاحتمال . لا .. لايمكن أن تكون صادقة

ضحكت سارا بصوت عالٍ :

WWW.RWAYA.COM

— أنتِ لا تصدقيني .. أليس كذلك ؟

— أجد الموضوع صعب التصديق ... هل تودين القليل من الشاي ؟ .

— حسناً ... سيكون هذا رائعاً . شكراً لكِ .

تبعتها سارا إلى المطبخ وراقبتها وهي تقوم باعداد الشاي وتقطيع الكعكة .

— نبدوا في غاية التحضر والمدنية ... فأنت لا تحبينني كثيراً ولكنك مازلت تقومين على تقديم كامل الضيافة .

— لقد تربيت على هذه الأخلاق ... حتى اتجاه الأشخاص الذين لا أحبهم

كانت ضحكة سارا شبيهة بصوت القطة

— لم تفهمي في يوم من الأيام نوع العلاقة التي كانت بيني وبين مات ...

ناولتها آنا فنجان الشاي .

— وماذا عليَّ أن أفهم ؟ إنه زوجي على كل حال وليس زوجكِ

— كان من المفترض أن يتزوجيني أنا . وهذا ماأراده والدي منذ البداية . لقد ترعرعت على هذه الفكرة منذ الصغر ....

أنت لا تعارضين إذا تكلمت عن هذا الموضوع ؟

تنهدت آنا .

— بالطبع أعارض ولكن كما أرى أظن أنك متلهفة لاخباري على كل الأحوال .

— عندما كنا أطفالاً ... لم نكن نفترق أبداً . لم أخلق ولداً كما كان يريد والدي لذلك فرح كثيراً عندما أصبحنا أنا ومات شخصاً واحداً . كلنا متشابهين ... أحببته كثير .

— إشربي فنجان الشاي قبل أن يبرد . (كانت تعلم أن سارا ستقول أشياءً لن تحب سماعها ولكنها تعلم أيضاً أنه ليس بإمكانها القيام بأي شيء ماعدا الاستماع إليها .

— قضيت معظم إجازاتي في آشلي بارك . (تابعت سارا) عشتُ بانتظار هذه الاجازات وبانتظار قضاء بعض الوقت مع مات .

لم تكن آنا مرتاحة لحديثها . ولكنها لم تستطع أن تقول أي شيء .

فهذا حدث منذ زمن طويل على كل الأحوال .

— واحدنا بحاجة إلى الآخر (قالت سارا) كبرت ولدي هذا الشعور وهذه الحاجة إليه . وكان من الطبيعي أن نجد قبلتنا الأولى ممتعة وكأننا كنا ننتظرها منذ زمن طويل .

هل تفهمين ؟

اومأت آنا ... برأسها فقط ولم تقل شيئاً فقد كانت البرودة تجتاح كافة أنحاء جسمها . فقد كانت سارا تتحدث عن علاقة ودية ليس لها مكان فيها على الإطلاق .

ـــ خططنا لارتباطنا مع بعضنا .. ولكني دُعيتُ للإقامة لدى بعض أصدقاء والدي لفترة في طوكيو . ولقد أُسست من أجلها كل شيء ... والآن وعندما أنظر إلى تلك الأيام أفكر أنه كان من الخطأ أن أقبل تلك الدعوة .

لم يكن مات يريدني أن أذهب ... ولكن مصالح والدي وتوسعه في اليابان كان يقتضي مني أن أقوم بهذه الزيارة .

لم أرَ مات بعد ذلك لمدى سنتين . على الرغم من أننا كنا نتراسل كل أسبوع . كان يكتب رسائل غرامية رائعة . (أضافت حالمة) كنتُ متأكدة من أنه كان سينتظرني (امتلأت عينيها بالدموع) ولكنه لم يفعل ...

وبدلاً من ذلك تزوجك . وعندما عدت إلى لندن . وجدتك تنتظرين مولوداً ... رأيته وتحدثتُ إليه ... قال إنه مايزال عند موقفه مني وأنه مايزال يحبني وأنه قام بأكبر غلطة في حياته بزواجه منك ... ووعدني بإصلاح هذه الغلطة بعد ولادة الطفل ولكن ... في ذلك الوقت .. مات الطفل . وعرفت أنه لن يتركك بسرعة على تلك الصورة .

ساد الصمت بعد تلك الكلمات ... نهضت آنا واتجهت إلى النافذة

فوجئت بالمطر قد بدأ يتساقط .

أغمضت عينيها ... فيوم زفافها تساقطت الأمطار أيضاً .

في ذلك اليوم هطلت الأمطار على قبعة والدة مات وأتلفت الورود التي تزينها . مما جعل أخذ الصور التذكارية خارج الكنيسة أمراً مستحيلاً

إلا أنها كانت سعيدة جداً لدرجة أن الأحوال الجوية تلك لم تستطع أن تفسد عليها بهجة ذلك اليوم .

حيث أمسك مات بيدها وقدمها إلى شخصيات تينانت وبارات الذين أتوا إلى كنيسة كروس وايت للنظر إلى تلك الانسانة المجهولة التي اختارها ماثيو تينانت عروساً له .... هل كان الجميع يعلم بعلاقته بسارا ؟

ضمت آنا قبضتي يديها ... لم تكن تشعر بشيء إلا بالآلام التي كانت تتصاعد داخلها ... آلام حقيقية جعلتها تشعر بعدم القدرة حتى على الحركة ... شعرت باليأس

نظرت إلى سارا وهي تبكي بهدوء . وتنظر إلى فنجانها .

كانت آنا متأكدة أن ماتقوله لم تكن إلا الحقيقة فلا يمكن لأحد أن يكون بمثل هذه البراعة في التمثيل .

اتجهت إلى الطاولة مرة أخرى

ـــ إذن ... ماذا تقترحين أن نفعل ؟

رفعت سارا رأسها قائلة :

ـــ أنا أحبه .

ـــ وأنا أحبه أيضاً . ولكنه إنسان ... ولا يمكن أن نساوم عليها

وأقترح أن نوقف أي حديث في هذا المجال إلى حين عودة مات من سفرته ... مارأيك ؟

مسحت سارا عينيها .

ـــ أشعر بتحسن الآن وبعد أن تحدثنا . أردت أن أكرهك . بل كان من اللازم أن أكرهك . ولكني لم أفعل .. هل هذا غريب ؟

ـــ لا .. ليس غريباً وعلى كل حال ليس بيدنا أي شيء ... فالمسألة أزلية ... مسألة الثلاثي وما يخلقه من مشاكل .

نظرت آنا إلى الفتاة وشعرت بالشفقة نحوها .

تصورت ماذا يمكن أن يكون شعورها لو أحبت شخصاً وتزوج غيرها . كما شعرت بالشفقة نحو نفسها أيضاً بعد أن عرفت أنها كانت بالنسبة لمات الحب الثاني

المرأة الدخيلة ... المرأة التي يجب أن يصالحها وإلا فقد عمله ... يالله من موقف وجدت نفسها فيه .

بدأت سارا بالعطس بقوة سارعت آنا بإعطائها كأساً من الماء . إلا أنها وقفت ومازالت تعطس وبشكل قوي ومستمر وضعت سارا المنديل على انفها وبدأت تدور في المطبخ وكأنها تبحث عن شيء ما ... فجأة وجدت وبيستر تحت كرسي من كراسي طاولة الطعام .

ـــ قطة ... آه لا ... أخرجيه من هنا ... لدي حساسية ضد القطط ... (التقطت حقيبتها وخرجت مهرولة من المطبخ)

لحقت بها آنا وقد انتابتها نوبة من الضحك ... لم يكن من اللائق منها أن تضحك ولكنها لم تستطع لذلك منعاً .

سارعت سارا إلى الباب الخارجي للمنزل وهي ماتزال تعطس

ـــ أنا ... أنا ... يجب أن أذهب . شـ ... شـ... كراً للك على الشاي ... الو اع .

عطست عطسة كبيرة أخيرة واتجهت إلى الخارج . جلست آنا على الدرجة الأخيرة . ضمت جسمها بذراعيها وتوقفت عن الضحك ... انتابتها موجة من الحزن واليأس .

عادت كاتن رحلتها التي قضتها في اسبانيا لتجد آنا وقد تملكتها الأحزان والأفكار السوداء . بالإضافة إلى المرض .

لم تفرح آنا في حياتها لرؤية أحد كما فرحت لرؤية جدتها . سمحت لها بأن تقودها إلى الفراش وتضع لها أكياس الماء الساخن .

ـــ لابد وأنه شيء أكلته ...

ـــ غداً ستكونين أفضل ... وإذا لم يحصل ... سنستدعي الطبيب

ـــ لا حاجة لي إلى الطبيب ... آه نسيت أن أسألك كيف رأيت إسبانيا ؟ .

ـــ حارة ومزدحمة بالناس . ولكنها كانت تجربة جميلة ولكني إذا ما قدر لي الذهاب مرة أخرى فلن تكون الرحلة في مثل هذا الفصل ... لقد جلبت لك بعض الكستناء .

ـــ هذا لطيف منك جدتي .... (تمتمت آنا بضعف)

خلال الأيام التالية ازدادت حالة آنا الصحية سوءاً إلى أن أصرت الجدة على استدعاء الطبيب إلا أن آنا أصرت على الذهاب إليه بنفسها إلى البلدة . قادت بنفسها السيارة ورفضت أن ترافقها جدتها . وعلى كل حال لم تكن قد وصلت إلى مرحلة الضعف التام .

خرجت في عيادة الطبيب وشعرت بالقشعريرة من برودة الجو . أشفقت على تلك الطيور المرتجفة من البرد وعلى كل إنسان مضطر للخروج في مثل ذلك الطقس حتى أنها اشفقت على نفسها وعلى قدميها المبللتين . إلا انها تمنت لو أن ذلك الوضع كان الأسوأ في حياتها ... فكونها أصبحت حاملاً في مثل هذا الوقت ومن الرجل الذي تفكر في الطلاق منه .

كانت جدتها تعمل في الأواني الخزفية عندما عادت إلى الطاحونة . راقبتها لفترة وهي تأخذ كرة من الطين وتضعها على الجهاز الدوار . لتكون أخيراً آنية خزفية .

ـــ حسناً وماذا قال الطبيب

سألت وهي تحمل الآنية الجاهزة وتضعها في المكان المخصص للشيء

ـــ قال إنني أنتظر طفلاً منذ ستة أسابيع .

ابتسمت كات وهي تحمل كرة أخرى من الطين

ـــ تصورت ذلك وكيف تشعرين الآن ؟

ـــ أنا خائفة (صارحت آنا جدتها)

ـــ ولكن هذا غير مفهوم .... لم يقل الأطباء بعد وفاة دانييل أن الطفل الثاني سيتعرض للوفاة كما حدث للأول .

ـــ أعرف .. ولكن مازلت خائفة ... لاأعتقد أنني استطيع أن أعيش التجربة مرة أخرى

وضعت آنا يدها في حركة حماية على بطنها ... استعادت في ذاكرتها الأوقات العصيبة التي مرت بها بعد وفاة طفلها منذ عدة أشهر ... كيف ستتحمل ذلك لو حدث مرة أخرى ؟

إلا أن الوقت قد تأخر ولم يعد بيدها شيء .

فالحمل موجود وعليها أن تمر بالتجربة حتى النهاية وفي كل الاحتمالات فكرت بالموضوع ... سيكون لها طفل

والطفل .. طفل مات .. طفلهما معاً ...

ولكن هذا الطفل سيلزم مات على الارتباط بها بروابط من فولاذ

ـــ ستعودين إلى بيتك الآن أليس كذلك ؟

كان ذلك بمثابة تقرير وليس سؤالا

ـــ لا أدري ياجدتي ... هذا لايغير في الواقع أي شيء . بل يضيف للمشكلة بعداً آخر ...

بعد ذلك سردت على جدتها ماحصل معها وما تحدثت مع سارا عندما زارتها منذ أيام .

— تقصدين جالبة المشاكل ... هل تصدقين كلمة مما تقول ؟ .

— لا أدري ماذا علي أن أصدق .. أعتقدت أنها كانت تقول الحقيقة ولكن الآن وبعد تفكير لست متأكدة تماماً (تنهدت) لا أدري ماذا سأفعل ياجدتي .

— استمعي إلي ... ما أن يعود ماثيو من رحلته سارعي باخباره عن الطفل ، فهذا سيخرج الآنسة سارا بارات من حياته إلى الأبد .

— ولكني لا أود أن أشعره أنه ملزم بالبقاء معي من أجل الواجب فإذا كان يحب سارا .....

هزت كات رأسها غير موافقة .

— ولكن ماثيو رجل عاقل ياآنا ... فإذا كان يحب سارا

لماذا لم يسارع إلى الزواج منها من قبل ؟ لماذا تزوجك أنت ؟

هل تصدقين أنه يبالي بتهديد أي إنسان ؟

— ولكنه قد يرضخ لأن والدته وضعت كل مصالحها في أيدي السيد جيمس بارات وهو بهذه الطريقة يغامر بأموال والدته .

— مسكين إذن ماثيو ... فهو يحمل عبء والدته ومشاكلها . لقد تعاطفت مع هذا المسكين .

سمعت آنا رنين الهاتف في المنزل . وبدون أدنى تفكير عن شخصية المتكلم رفعت السماعة . بعد ذلك شعرت بركبتيها فقدتا القدرة على حملها إذ إنها تعرفت الى صوت مات

— أهلاً آنا ... هل أنتِ آنا ؟

— نعم .. مرحباً .. مات .. أين أنت ؟

— في المكتب .. لقد انهيت لتوي من التقرير الخاص برحلتي وسأكون في الطريق إليكِ بعد قليل . سأصل إلى البيت حوالي الساعة الخامسة ... كوني بانتظاري .

— حسناً ... سيكون هذا جميلاً

حاولت أن تجد كلمات أخرىٰ تعبر بها عن إحساسها إلا أنها لم تجد شيئاً .

— كان بإمكانك إظهار حماس أكبر .. هل اشتقت إلي ؟

ضحكت قائلة :

— ليس كثيراً . وهل اشتقت أنت إلي ؟

— سأخبرك عن ذلك عندما أكون عندك .

— وأنا سأنتظرك .

جلست بعد ذلك تفكر بتلك المكالمة المفاجأة من مات .

العشاء ... أخذت تفكر بمحتويات البراد لاعداد عشاء مات .

إلا أن شيئاً لم يقدمها ... فعشاء الليلة يعني شيئاً آخر ...

على الرغم من أن مات يحب الطعام البسيط .. فكرت باللحمة المشوية والسلطة التي يحبها

— سيعود مات الليلة (قالت لجدتها غير قادرة على إخفاء فرحتها)

ـ حسناً ولكن لاتحسبي عشائي معكما . فأنا سأقضي الليلة عند صديقتي .

ـ لم تقولي ذلك من قبل .

ـ وهل عليَّ أن أقول كل شيء في وقتها ... فعلى كل حال كنت سأقول ذلك في المساء .

ـ ليس هذا ... ولكن اسمعي جدتي .. لست مضطرة لتركنا لوحدنا ... فهذا بيتك ياجدتي .

ضحكت كات .

ـ لقد تم ترتيب ذلك قبل ذهابي إلى إسبانيا ولكني نسيت أن أقول لك ذلك . هذا كل شيء .

قضت آنا وقتاً طويلاً تفكر فيما تلبسه لهذه الليلة ..

لكنها وقفت غاضبة من نفسها ومن تفكيرها ذلك .

فماذا يهم ماتلبسه ؟ .. فهي ليست بصدد التأثير عليه على كل حال .

أخيراً اختارت ثوباً أزرق . كانت دائماً تبدو جميلة بذلك وعلى كل حال كان ومايزال اللون الأزرق المفضل لديها . لبست الحلي المناسبة ومشطت شعرها بالفرشاة إلى أن اكتسب اللون الأشقر اللامع . أخيراً نظرت إلى نفسها في المرآة الكبيرة .

سأخرج لأشتري بعض الأشياء للعشاء .

ـ حسناً ولكن لاتحسبي عشائي معكما . فأنا سأقضي الليلة عند صديقتي .

« ليس شيئاً »... فكرت انا على الأقل تبدو باردة ومالكة لزمام نفسها حتى وان كانت ترتجف توتراً من الداخل .

حوالي الخامسة . كان الطعام جاهزاً وأخذت تنظر من النافذة مترقبة سيارته السوداء .

السادسة مساءً وقد بدأت تقلق

هل تعرض الى حادث ما ؟

اعتاد مات على قيادة سيارته وكأنه يقود طائرة من الطراز الحديث إلا أنها ظهرت السيارة وبدأت تقف أمام الباب . ومن خلف الستارة أخذت آنا تراقب مات وهو يخرج من السيارة وينظر إلى البيت للحظة . خفق قلبها بجنون لمرآه . كان فمها جافاً تمنت لو أنها تستطيع الاختباء في مكان ما . إلا أن مات فتح البوابة واتجه عبر الممر إلى الباب الخارجي .

« كم هو جميل مات » . فكرت آنا . فقد كان النسيم يحرك شعره الأسود ويرفعه عن جبينه . كان يلبس بنطالاً من الجينز يظهر رجولته وقوته . ويعلق على كتفه في حركة لا مبالية سترته .

رن جرس الباب . إلا أنها لم تسارع إلى فتح الباب فقد أجبرت نفسها على الانتظار قليلاً . بعد ذلك رسمت على وجهها تعبيراً بارداً . أخذت نفساً طويلاً وعميقاً ومن ثم فتحت الباب .

الفصل السابع

نظر مات إليها والابتسامة تعلو وجهه .

كان يعلم مقدار تأثير تلك الابتسامة على آنا .

ـــ مرحباً آنا

وقفت غير قادرة على الحركة . دخل مات إلى القاعة واقترب منها .

ـــ تعالي إلى هنا (أخذها بين ذراعيه) لقد افتقدتك كثيراً .

ابتسمت آنا بنعومة . فكرت أن رجل مثل مات قضى أكثر من أسبوع في الصحراء لابد وأن يجد أية امرأة آية في الجمال

ـــ وأنت لاتبدو سيئاً (نظرت إلى وجهه الذي كان يظهر عليه القليل من التعب) كيف جرت الأمور معك في رحلتك .

سألته بلطف وهي تتجه إلى غرفة الجلوس .

ـــ كانت مصيبة ... لقد حدث إنفجار كبير . لا ندري بالتحديد كيف حدث (جلس على الكنبة) لقد اصيب بعض الرجال بالحروق وهناك صديق لي من أيام الجامعة فقد حياته ...

ـــ آه مات ... أنا آسفة .

رسم على شفتيه ابتسامة خفيفة

ـــ تلك أشياء تحدث في الحياة . إلا أنه يؤثر أكثر عندما يصيب شخصاً نعرفه . إنه توم كان متزوجاً وله ولدان .

(مد لها يده) تعالي ... قولي واحكي لي ماذا كان يحدث في هذا العالم أثناء غيابي . اللعنة ... غبت عدة أسابيع ويخيل لي أنني غبت سنة كاملة .

فكرت آنا أنه الوقت المناسب لتخبره عن الطفل . إلا أنها ترددت عندما جلست قربه وأحاطها بذراعيه . بدلاً من ذلك قالت :

ـــ هل أنت مضطر للعودة .

ـــ أخشى أن أقول لك إنني سأعود إلى هناك ياحبيبتي .

ستبدأ الإصلاحات بعد ثلاثة أسابيع وعلى أن أكون هناك .

ـــ ثلاثة أيام (كررت كلماته بيأس)

ـــ عدت لاضع فقط تقريري حول الحادث . ولزيارة زوجتي العزيزة (رفع ذقنها بأصابعه) هل افتقدتني ؟

ـــ تعلم أنني افتقدتك (أجابته بصوت هامس) آه يامات أتمنى ألا تعود إلى هناك مرة أخرى .

ـــ صحيح ... هذا تقدم ملحوظ

نظر في عينيها وقد بدا فيهما الحب واضحاً .

ـــ ولكني أعني ماقلت .

كانت تدرك أنه لن يعرف أبداً مقدار اشتياقها له .

www.rewity.com

لم تستطع أن تزيح عينيها عن وجهه . فكل مافيه جذاب ويحكي لها منه قصة حب . أخذت يدها إلى شعره ولمسته بحنان .

ـــ اعتقد أنك صادقة

قبلها وفجأة سألها .

ـــ بالمناسبة أين جدتكِ ؟

ـــ ستمكث عن صديقتها هذه الليلة وقالت ألا ننتظرها .

تنهد مات راضياً .

ـــ لا تقلقي لن نتزعج من هذا الترتيب أبداً .

قربها منه أكثر فأكثر .

ـــ وماذا عن العشاء . عليك أنت تأكل أولاً ، أليس كذلك ؟

ـــ هل هذا ضروري ؟

أحكم ذراعيه حولها غير مبالٍ باعتراضاتها ثم ابتعدت عنه قليلاً وراقبته وهو نائم ... كان ذلك مستحيلاً وهو مستيقظ

ـــ أنت جميل ... قالت هامسة .

كان يغفو بسلام وعبوس خفيف بين عينيه

فكرت بمشكلتها ... صحيح أنها تنجذب له وبقوة ولكن هذا لا يعني أن زواجهما ناجح . فالزواج الناجح بحاجة إلى انسجام فكري .

كانت تريد الكثير منه إلا أنها لاتعرف مقدار استعداد مات للعطاء .

ابتعدت عنه على مهل ووقفت تراقبه . لم يلاحظ ابتعادها عنه لابد وأنه كان مرهقاً .

اتجهت بعد ذلك إلى المطبخ لإعداد العشاء . فلابد وأن مات سينهض جائعاً

بدأت بإعداد الطعام ... كان من الواجب أن تخبر مات بأمر الحمل ولكن كيف ومتى . عبست وهي تفكر في هذه المشكلة .

بعد أن يكونا قد تناولا العشاء ستخبره بأمر الطفل . شعرت بتعب وتوترت أعصابها لأن رد فعله فور إخباره بالأمر سيحدد مصير علاقتها به وصدق سارا فيما قالته لها .

ما أن انتهت من ترتيب الوجبة حتى وجدت مات يقف عند الباب وقد خرج لتوه من الحمام . كان شعره رطباً .

كنت بحاجة إلى هذا الحمام .

ـــ لقد انتهيت لتوي من إعداد العشاء

ـــ مم ... ماهذه الرائحة اللذيذة .

ـــ انها وجبتك المفضلة ... وتوقف عن هذا وإلا لن تتناول أي شيء .

ـــ دعينا نأكل في غرفتنا مارأيكِ ؟

كانت الفكرة جنونية ... الجلوس فوق الفراش وتناول الطعام .

وبالفعل كانت شهيةُ مات عظيمة .. أكلا وضحكا وتحدثا عن أمور غير ذات أهمية ألا أنها كانت لحظات شعرت بقربها الكبير من زوجها ولا يمت الموقف إلى حقيقة الظروف التي يمر بها زواجهما .

أمريكا إلى انجلترا ليراها . لابد وأنه لن يتوقف عن المجيء وقطع عدة أميال أخرى والوصول إلى كروس وايت .

دخل مانيو إلى البيت ... كان العرق يتصبب منه حيث إنه قطع رحلة طويلة ... اصطدم لدى دخوله بعلبة كرتونية كبيرة كانت تتوسط القاعة . انطلقت منه العديد من الشتائم

ـــ باللشيطان ماهذا ؟

اتجه مباشرة إلى غرفة النوم ومن نظرة واحدة اكتشف أن زوجته لم تعد في البيت فلم تكن قد تركت أيا من أشيائها في الخزانة . كما لاحظ اختفاء صورته من فوق الموقد .

ضم قبضتيه بغضب ... اتجه مباشرة إلى الهاتف

ردت عليه كات :

ـــ هل بإمكاني التحدث مع آنا أرجوكِ ؟

ـــ لا أدري إذا كانت تريد التحدث إليكِ يامات .

ولكني سأسألها .. إنها في الحديقة . انتظر دقيقة .

أتاه صوت كات بارداً وفيه الكثير من العتاب . كان مات دائما يحترم جدة آنا كثيراً .

مضت عدة دقائق قبل أن تجيبه آنا ... تصاعد خلالها غضبه لدرجة أنه أوشك على وضع سماعة الهاتف . إلا أنه سمع آنا على الجانب الآخر من الخط :

اقترب منها ولامس وجنتها برقة .

ـــ تبدين شاحبة ... هل أنت بخير ؟

ـــ نعم أنا بخير

أجابته بسرعة علها تستطيع التخلص من قربه منها . إلا أنه داعبها قائلاً :

ـــ يبدو أنك ازددت بعض الكيلوغرامات ... أحب ذلك في المرأة .

(حاول تقبيلها)

ـــ أرجوك ابتعد فجدتي .

ـــ آه ياللسماء . أنا لا أفعل مايغضب أحداً . فأنتِ زوجتي .

ـــ أعرف . ولكن .. حسناً .

تنهد مات وابتعد عنها لتكمل ارتداء ملابسها .

ـــ حسناً . من الأفضل أن نعود إلى بيتنا بأسرع وقت ممكن حيث يمكننا أن نتصرف على حريتنا . وفي أي وقت أشاء .

فكرت آنا أنه يتحدث وكأن أمر عودتها إلى شقته بات محسوماً ابتسمت له .. في الواقع كان هذا أيضاً ماتريده هي بنفسها .

نظرت إلى مات . وإلى قميصه ... لابد وأنه هدية من سارا . فهذا النوع من القمصان يباع في ماليبو حيث تملك سارا الشاليه . ذلك الشاليه الذي دعتهما إليه خلال حفلة نيويورك . شعرت بقشعريرة باردة تجتاح جسمها .

أحبته سارا لسنوات عديدة . ومن المؤكد أنها لن تتركة يفلت منها بهذه السهولة .

كانت كات منهمكة في إعداد الفطور عندما نزلا من غرفتهما حيَّت مات بحماس ووضعت أمامه الوجبة المفضلة لديه على مائدة الفطور .

ادارت آنا وجهها لدى مشاهدة الطعام . فمنذ أن أصبحت حاملاً لم تعد تستطيع أن تتحمل رائحة الطعام في الصباح .

أخذت آنا قطعة من الطوست واتجهت إلى الجهة المقابلة للطاولة . نظرت إليها كات عبر الطاولة ومن خلف مات . وسألتها :

ـــ هل قلتِ له ؟

هزت آنا رأسها بدون أن يلاحظ مات .

كان هناك بعد ذلك أحاديث شتى حاولت آنا ألا يلاحظ خلالها حالة الغثيان التي كانت تشعر بها من مرأى الطعام .

على الأقل لن يشعر بفقدانها للشهية لأنها كانت معتادة على عدم تناول أي شيء في الصباح .

ـــ سأهتم بالصحون .

ـــ لا .. ليس أمام مات إلا اليوم وغداً قبل أن يغادر مرة أخرى . اذهبا لقضاء بعض الوقت معاً . وسأرى ماذا سأفعل هنا . (قالت كات بشدة) وإذا لم تجدوني هنا لدى عودتكما فلا تقلقا . سأذهب مع هيلين إلى المدينة وسنقضي اليوم معاً .

ـــ هل سمعتِ (قال مات آخذاً يد آنا واتجه إلى الخارج) تعالي يبدو أنك بحاجة إلى بعض الهواء المنعش .

كانت آنا تعرف أن أي اعتراض لن يأتي نتيجة خاصة وأن جدتها كانت تساعده . لذا تنهدت ولكنها تبعته واتجها إلى النهر .

كان الجو مليئاً برائحة الزهور والهواء منعش والعصافير تغرد في كل اتجاه . أخذ مات يأخذ بعض الحصى ويرميها في النهر ويثير الاضطراب على صفحة المياه الهادئة . بينا جلست آنا صامتة تراقب تقلص وتحدد عضلات ذراعه وهو يقوم بذلك .

فيما بعد استدار إليها محدقاً فيها ولكن بدون أن يبتسم :

ـــ إنه وقت القرار آنا ... أريد أن أعرف فيما إذا كنت ستعودين إلى شقتنا وهل سأجدك هناك لدى عودتي من الصحراء .

نظرت إليه وقد فقدت القدرة على الكلام

ـــ إنه سؤال منطقي ألا ترين ذلك ؟

هربت من نظرات عينيه الرماديتين النفاذتين .

ـــ أنا .. أنا لاأدري ؟

ـــ ماذا تقصدين بـ لا أدري ؟ فبعد الليلة الماضية لا أظن أنه يمكن أن يكون هناك أي شك .

(دفع بيده شعره بعصبية بالغة) يالهي . ماذا عليَّ أن أفعل . هل أجثو على ركبتي . هل أقدم لك قلبي وروحي ودموعي على طبق ؟

(أمسك يديها بقوة) آنا نحن منسجمان تماماً . ألا يعني هذا لكِ أي شيء .

ــ وهل يعني لك شيء ؟

أجابته بنفس سؤاله .

ــ نعم هذا يثبت أننا متفقان ويجب أن نستمر معاً .

ــ ولكن هناك أشياء أهم من الانسجام الذي تتحدث عنه .

ــ صحيح

ــ نعم صحيح وأنت تعرف ذلك جيداً

ــ أتساءل ماهذه الأشياء التي تتحدثين عنها ياحبيبتي .

لقد عشنا سنة ونصفاً معاً تمتعنا خلالها كثيراً .

ولا أفكر على الإطلاق أن أتخلى عنك . ولا أظن أنك تفكرين أيضاً .

ولكنك تتساقين وراء شكوكك الغبية وتخطئين في حكمك على الأشياء .

ــ شكوك غبية ؟ ... إنها أكثر من ذلك . وأنت تعرف ذلك !!

ــ حسناً .. لقد كنت أحمق أيضا . كان عليَّ أن أتصرف بحكمة أكبر وتفهم أكبر بعد وفاة الطفل . ولكنك تعرفيني . أنا لا أنجح كثيراً في الأمور الدبلوماسية والحاسة . ليس عندي اسلوب للحديث أو للتصرف ... هكذا هي طبيعتي ، أقوال أشياء لا أقصدها . وأريد أن أقول أشياء لا أنجح في قولها .

ولقد تزوجتني كما أنا ... فلما الاعتراض الآن ؟

ــ ولكننا تغيرنا (اعترضت آنا) الوقت والظروف جعلتنا نقابل أناساً مختلفين شيئنا أم أبينا .

ــ هذا ليس صحيحاً ... فلو أنك لم تنجبي الطفل ماكان سيتغير أي شيء .

ــ لا أفهم .. لقد تزوجنا لنكون أسرة . أردنا الطفل .

ــ تصحيح .. أنتِ أردتِ الطفل .

حدقت فيه آنا .

ــ لاتقل هذا .. فقد كنت سعيداً مثلي عندما علمنا أنني أنتظر طفلاً بعد زواجنا بقليل .

تنهد مات بقوة .

ــ كنت سعيداً لأنك كنتِ سعيدة . كل ماأردته من أجلك هو أن تكوني سعيدة .... لقد كنت مستعداً لأن أنزل القمر لكِ إذا شئت . والطفل كان مسألة سهلة بالنسبة للقمر ألا ترين ذلك ؟

ــ لم تكن ترغب بالطفل . أليس كذلك ؟

ــ في البداية فقط . فكل ماكنت أرغب فيه وجدته فيك هل أنا أناني في هذه النقطة ، لم يكن يهمني أن أضيف فرعاً آخر في شجرة العائلة . لم أكن أتوق إلى الأبوة .

تزوجتك آنا لأنني أحببتك . لأن حياتي كانت فارغة قبل أن أعرفك . لأنني اعتقدت أنه بالإمكان الواحد منا أن يسعد الآخر ...

أردتك زوجة لي ورفيقة وصديقة وليس بالضرورة أماً لأولادي .

استدار بوجهه إلى النهر ليراقب سرباً من البجع يحط على النهر . وتابع قائلاً :

ـــ عندما أصبحت حاملاً . خفتُ . لم أكن أريد أن يتغير أي شيء في حياتنا على الرغم من أنني أعرف أن هذا سيحدث يوماً ما إلا أنني ومع مرور الوق بدأت أعتاد على الفكرة خاصة وأنك كنت تزدادين جمالاً يوماً بعد يوم . ووجدت نفسي أفكر بالأشياء التى ستفعلها بعد الولادة ورعاية الطفل .

امتلأت عينا آنا بالدموع .

ـــ لم أكن أعرف ... لم تقل لي في يوم من الأيام .

ـــ آه آنا ... لقد حزنتُ على طفلنا ومازلت حزيناً . في داخلي ألم يأب أن يزول . اشعر في بعض الأحيان بالغضب واليأس مما حدث لنا . لقد أحببت دانييل . لقد كان جزءاً منا ... ولكنه لم يعش بل مات وأخذ معه كل أحلامي .

كانت صدمة آنا قوية لدى سماعها ذلك الاعتراف . لم تكن قد توقعت في يوم من الأيام أن يكون شعور مات بهذه الصورة .

في الواقع لم تسل نفسها في يوم من الأيام ذلك السؤال

لم تتوقع يوماً أن وراء ابتسامته يكمن حزن كبير .

بل انها تصورت مقدار حزنه وألمه بعد ذلك خاصة وانها انعزلت عن

العالم وابعدته تماماً عن حياتها .

ومن الطبيعي في هذه الحالة أن يلجأ إلى سارا طلباً للمواساة والراحة .

فكرت في الطفل الجديد الذي أخذ ينمو داخلها ... بالتأكيد لن نتمكن من اخباره به خاصة وأنهما يستعيدان آلام التجربة الأولى .

ـــ لم أكن أعرف ... لمَ لم تقل لي ؟

ـــ هل كنت لتستمعي إلي ؟

لم يكن هناك من كلمات يمكن أن يقولاها . استدارا وشقا طريقهما إلى البيت مرة أخرى .

كانت سيارة كات الصغيرة غير موجودة وبدلاً منها اصطفت سيارة حمراء صغيرة أمام البيت .

وقع قلب آنا بين ضلوعها عندما تذكرت أنها سيارة سارا أتت بها يوم الجمعة الماضي .

ما أن إقتربا من المنزل حتى ظهرت سارا على الشرفة ولوحت لهما بيدها مبتسمة .

ـــ اللعنة ... ماذا تفعل هذه هنا ؟

ـــ ها أنتا قد عدتما .

اقتربا منها أكثر .. لاحظت آنا مقدار الأناقة والنعومة التي بدت بهما سارا . عكس ماجاءت به يوم الجمعة أثناء زيارتها لها في الطاحونة .

ـــ مات عزيزي . كنت آمل أن أجدك . (تعلقت به وقبلته)
أهلاً آنا ... تبدين بحالة جيدة .

بدت آنا مملة وبسيطة أمام جمال سارا الصارخ . كرهت نفسها للشعور بعقدة النقص . أجابتها بيرود قائلة :

ـــ أهلاً سارا ... هذه مفاجأة .

ـــ تذكرين انني قلت لكِ إنني متجهة لحضور حفلة عند بعض الأصدقاء في يورك . حسناً ... لقد كانت مملة جداً وكما توقعت .

ـــ ياللخسارة (قالت بسخرية) أرجو أن تكوني قد شفيت من الحساسية ضد القطط .

ـــ بالفعل حالما خرجت من المطبخ تحسنت كثيراً .

كان مات ينظر تارة إلى آنا وتارة إلى سارا ولم يكن يفهم أي شيء .

ـــ وماذا تريدين ؟ سألها بجفاء .

ـــ عرفت انني سأجدك هنا ياعزيزي . لذلك اعتقدت أنه يمكننا أن نعود معاً إلى لندن .

أشارت إلى السيارة الحمراء . وسألها :

ـــ وماذا تتوقعين أن تفعلي بهذه السيارة فربطها إلى السيارة الأخرى ؟

ـــ بالطبع لا ... لقد استأجرت هذه السيارة وبإمكان الشركة أن تستردها من هنا . لا تمانعين أليس كذلك آنا ؟

ـــ لقد كانت توقعاتك خاطئة . فأنا لن أعود إلى لندن إلا في الغد وبهذا أتساءل أين ستقضين ليلتك ؟

ـــ آه ولكن يجب أن نكون في لندن الليلة . ألا تعرف ذلك ؟ حدق مات فيها .

ـــ أنت تمزحين . لقد وصلت البارحة فقط .

ـــ لقد اتصل بي والدي البارحة واعتقدت أنه اتصل بك أيضاً . فعلى مايبدو هناك أمر طارىء في آبار البترول . وهناك شخصيات ستحقق في حادث الانفجار الذي حدث . ويريدك والدي أن تشرف على العمليات .

نظرت آنا إلى مات ولاحظت علامات الانزعاج الذي بدت على وجهه

ـــ ولماذا هذا القلق على الانفجار .

ـــ يعتقدون أن الحادث تم بفعل فاعل ، هناك خبيران بالانفجارات سيذهبان معك الليلة .

كانوا قد دخلوا إلى المنزل وسارا تشرح لمات الوضع .

ثم أنها تظاهرت أنها لم تشاهد غرفة الجلوس من قبل . قالت لآنا

ـــ غرفة جميلة .

ـــ شكراً لك . هل تودين فنجاناً من القهوة ؟

ـــ أحب ذلك . (جلست سارا بدلال على الكنبة)
لقد انزعجت كثيراً من الحفلة التي حضرتها

ـــ مسكينة (قال مات بسخرية)

غادرت آنا الغرفة غير قادرة على احتمال منظرهما معاً .

سارا بأناقتها وجمالها الصارخ ومات يميل عليها غير قادر على ازاحة نظره عنها .

في الصالة ... توقفت قليلاً لتستمع إلى حديثهما . على الرغم من الخجل الذي شعرت به من فعلتها تلك .

— لم يكن من الضروري قدومك إلى هنا اليوم (سمعت مات يقول لها)

— لماذا ...؟ يبدو من المعقول جداً أن آتي إليك خاصة وأننا سنسافر معاً إلى مكان الحادث هذه الليلة .

— إلى أين ... اللعنة وهل تعتبرين الذهاب إلى هناك عبارة عن نزهة . هل فقد والدك عقله ليسمح لك بذلك ؟

— اهدأ ياعزيزي . لن أتعرض لأي خطر ... سأمكث في المدينة وأتلقى أسئلة الصحافة حول الحادث

مازلت أعتقد أنها فكرة مجنونة .

— ليس هناك من خيار مات لم أستطع معارضة أمر والدى

— للجحيم مع والدك . فليذهب هو والشركة إلى الجحيم .

يخطر لي أحياناً أن أتخلى عن هذا العمل نهائياً .

— ولكنك لن تفعل ذلك أليس كذلك و

— سنرى ... سأحاول تغيير رأيك

كانت هناك فترة صمت ... تمنت آنا لو تستطيع الصراخ أو البكاء أو أي شيء .

— بالمناسبة ... (تابعت سارا) كيف تسير الأمور بينك وبين آنا ؟

— جيدة . وهل الأمر يخصك ؟

— لا تكن سخيفاً ياعزيزي ... طبعاً يهمني الأمر .

— لا ارى داعياً لذلك .

— وكيف هذا ... ؟ هيا مات استعمل ذكاءك المشهور ...

آنا إنسانة ضعيفة .. لم توقف في اختيارك لها كزوجة

لا أدري لم تزوجتها ... فأي إنسان في وجهه نظر سيدعم قولي هذا .

— سارا ... توقفي عن هذا الحديث فالوقت ليس مناسباً لمثل هذا النقاش .

— كان عليك أن تتزوجني أنا ياماتس . كنت سأكون الزوجة المناسبة لك . كنا سنشكل ثنائياً رائعاً . فنحن نفهم بعضنا ... لدينا طبيعة واحدة .

غير قادرة على الاحتمال أكثر من ذلك . اتجهت آنا إلى المطبخ بقيت فترة لا بأس بها وهي تحاول السيطرة على أعصابها

خافت من النار التي كانت تشتعل داخلها ... كانت لديها الرغبة

WWW.RWAYAT.COM روايات

في قتل سارا ... أو قتلهما معاً .

قامت بإعداد القهوة وكم ودت لو أن لديها القليل من سم الفئران لكانت استعملته وبكل تصميم .

سخرت من نفسها ... هذا جزاء من يستمع خلسة إلى حديث الآخرين .

إلا أن حديث آنا قد قلب كل الموازين وانطبعت كلماتها في عقلها ... حطمت تلك الكلمات كل الأمال التي بدأت تنمو في قلبها .

كيف كان لها أن تنافس تلك المرأة التي لاتشاركها في أي من صفاتها ؟

ستسافر سارا مع مات الليلة وستظل هي . كما هي العادة طبعاً . ولكنها على الأقل ستقول وداعاً وهي محتفظة بكرامتها قررت ألا تتصرف بأي شيء . أخذت صحناً من البسكويت وأخذت القهوة معها إلى غرفة الجلوس .

كان الاثنان يقفان بجانب النافذة . وجدت آنا نفسها تحملق في شكل سارا الكامل وبأناقتها ومكياجها . نظرت إلى مات ولم تفهم التعبير الذي كان مرتسماً على وجهه .

ـــ أنتِ ملاك . فأنت ليست لديك أدنى فكرة عن العذاب الذي عانيته في القيادة من يورك حتى هنا . هذا بدون ذكر أفواج السياح . لا

أستطيع أن أفهم لِمَ يأتي العديد من الناس إلى يورشاير . فكما أرى ليس هناك من شيء يستحق الرؤية .

نظرت آنا الى ملابس سارا . بدت وكأنها خرجت لتوها من صالون التجميل وقدمت خصيصاً لمات ... قدرت آنا أن السترة التي كانت ترتديها يلزمها سنة كاملة من العمل لتجمع ثمنها

ـــ يعتمد هذا على الشيء الذي يهمك أن تشاهديه (قدمت إلى مات فنجاناً من القهوة) .

ـــ قهوة .. لابد وأنك تمزحين (نهض وإتجه إلى طاولة المشروبات . وصب لنفسه كأساً من الشراب)

ـــ أردت أن أقدم لك القهوة لتبقى صاحياً أثناء القيادة الليلة .

ـــ إذن ... تعتقدين أنني غير قادرة على القيادة في الليل .

ـــ أنا لا اعتقد أي شيء ياعزيزي . أردت أن أنصحك فقط .

ـــ عندما أحتاج إلى هذه النصيحة سأطلبها منك .

تنهدت سارا .

ـــ آه ياعزيزتي كيف تتحملين طباعه هذه ... من الأفضل أن نغير الحديث ...

ضحكت سارا ... إلا أنها شعرت بالارتباك . لماذا كان عليها أن تنبه على أي شيء أمام سارا ؟

شعرت بطريقة أو بأخرى بالذنب .

نهض مات واقترب منها واضعاً يديه على كتفيها . استطاعت أن تشم رائحة الشراب في أنفاسه ، كما استطاعت أيضاً أن تشم عطر سارا على ملابسه .

اجتاحت البرودة اطرافها وتقلصت أمعاؤها .

ـــ بالمناسبة ياعزيزي (قالت سارا) وقبل أن أنسى .

أعتقد أنك الأحق في معرفة خبر خطوبتي .

كان هناك صمت ثقيل خيم على الثلاثة .

شعرت آنا بتقلص يدي مات على كتفيها

ابتسمت سارا له ... كانت راضية عن خطتها فقد أفسدت لحظة التقارب التي كانت ستحدث بين مات وآنا .

ـــ خطوبة (أعاد كلمتها بدون وعي منه)

ـــ ظنت بالفعل أنك ستفاجأ بالخبر ، لهذا أردت أن أنقل الخبر لك . على الرغم من إنه حتى الآن ليس إلا عرضاً .

لم أكن أريد أن تسمعه من غيري .

ـــ من هو الخطيب ؟

راقبتهما آنا .... وكأنها تراقب مسرحية ما ... كان الاثنان يحدقان ببعضهما ونسيا وجودها نهائياً .

ـــ أعتقد أنك قابلته يامات ... إنه صديق لوالدي أندرو كلين .

ـــ لايمكن أن تكوني جادة ... لقد تزوج خمس مرات حتى الآن بالإضافة الى أنه كبير في السن .

ـــ آه . صحيح ... ولكني لا أستطيع الانتظار إلى الأبد .

كانت آنا قد شاهدت وسمعت بما فيه الكفاية ولم تعد تتحمل أكثر من ذلك . اتجهت إلى الباب .

لاحظها مات

ـــ إلى أين تذهبين ؟

ـــ إلى الخارج .. (كان صوتها ونبرتها تقول إنه يتابع الاهتمام بشؤونه

قبض على ذراعها قائلاً :

ـــ سآتي معك .

ـــ خمس دقائق فقط يامات ... علينا أن ننطلق بأسرع وقت . (ذكرته سارا) .

ـــ سآخذ الوقت الذي أريده .

كان ويبستر مستلقياً على الدرجة الأخيرة من الدرج . أدخلته آنا الى غرفة الجلوس وأغلقت الباب وقد علا وجهها متعة شيطانية .

في الحديقة ... حاول مات الإمساك بيد آنا إلا أنها رفضت وأدخلت يديها في جيوب بنطالها الجينز .

ـــ آسف لكل هذا .

ـــ ولماذا تعتذر ؟ لطبعك السيء أو لابنة خالك التي لحقت بحبيبها إلى هنا ؟ لاتقلق ... فقد كانت هنا منذ يومين واخبرتني عن علاقتهما الخاصة جداً .

www.rewity.com

أدارها بقوة لتنظر إليه .

ـــ اسمعي آنا .. لاتبدأى مره أخرى فليس لدينا الوقت لكل هذا .

ـــ ولماذا ... لقد كنت أنوي أن أخبرك بما قالته لي عن حبها لك وحبك لها . والغلطة التي ارتكبتها في الزواج مني وكيف انك أجبرت على المكوث معي لفترة أخرى بسبب وفاة دانييل ، ومن ثم احتمال فقدانك لعملك اذا ماتركنا بعضنا ... كان يجب أن تكون هنا ... فقد كان مشهداً مؤثراً يدمي القلب ... والمسرحية التي مثلتها الآن ... مسرحية الخطبة . نجحت وحصلت على ماتريده ... وهو أن تجعلك تشعر بها وتشعر بالغيرة نحوها .. وقد نجحت أليس كذلك ؟

غرس مات أصابعه أكثر في ذراعي آنا .

ـــ آنا ...

نظرت إلى وجهه وقد قررت عدم البكاء . كانت معالم وجهه تختفي وتضمحل من خلال عينيها المليئتين بالدموع ...

لقد تلاشى غضبها الآن ...

نعم الآن وقد تأكدت أنها على وشك أن تفقده إلى الأبد .

ـــ اذهب .. أرجوك اذهب الآن

وقف بجانبها بدون حراك . حاول أن يشدها إليه إلا أنها ابتعدت عنه

ـــ اذهب (صرخت في وجهه) لاأريد أن أراك مرة أخرى .

استدارت وبدأت تركض باتجاه النهر .

ـــ إذن قررت استخدام مهارتك في الأعمال التجارية ؟

ـــ أظن أن هذا منطقي جداً ويستحق المحاولة .

ـــ لم تأتِ الى ذكر والديك أبداً .

ـــ كلاهما متوفٍ

ـــ آه ... يالهي أنا آسف . اعذريني أرجوكِ .

ـــ لابهم .... لقد مضى وقت طويل على ذلك .

ـــ لابد وأنك تفتقد بينهما جداً .

نظرت إليه آنا باهتمام ... بدا لها صادقاً في مشاعره

ـــ نعم ... أفتقدهما ... طبعاً ولكن ليس كما كنت في البداية ... لقد ماتا نتيجة حادث عندما كنت في السادسة من عمري

ـــ مسكينة أيتها الصغيرة . (بدا غاضباً)

ابتسمت آنا بمرح .

لاداعي لكل هذا الأسف . فكما قلتُ لك . لقد كان ذلك منذ زمن طويل . وقد كانت جدتي بقربي دائماً .

أعتقد أن موتهما كان أكثر وقعا على جدتي لان والدي كان ابنها الوحيد ... ولا أعتقد أن هناك أصعب من فقدان ابنك

ـــ إذن ... جدتك هي التي تولت رعايتك ؟

ـــ نعم ... فنحن قريبتان جداً من بعضنا

ـــ أحسدك على ذلك .

ـ لماذا ؟ (سألته باستغراب)

ـ لا أدري ... ربما أحسدك على ذلك التقارب الذي تشعرينه مع جدتك .

ـ وماذا عن والديك ؟ سألته .

ضحك بحزن .

ـ توفي والدي عندما كنت صغيراً ، أما والدتي فقد كانت ومازالت جميلة حتى الآن وبعيدة عني أيضاً ، في السابعة من عمري وضعتني في مدرسة داخلية ... ولأكن صادقاً أعتقد انني في تلك الفترة لاأذكر أنني رأيت والدتي أكثر من عشر مرات . فأنا لاأتذكرها إلا وهي تسافر من هنا إلى هناك مع أختي .

ـ آه ياالهي ... هذا ظلم (علقت بحزن وهي تتصوره صبيا صغيراً يعيش وحيداً)

ـ لاتفهميني خطأ ... فأنا لا أود أن أحصل على تعاطفك فأنا لم أكن تعيساً كطفل . فقد تعلمت أن أعتمد على نفسي وهذا لايعتبر نتيجة سلبية . فقد تتناوبني بين الحين والآخر نوبات من الحزن عندما أفكر ماذا كان سيكون وضعي لو أنني ولدت في عائلة أخرى ... (ابتسم لها) ولكن لحسن الحظ هذا لايحدث إلا قليلاً ... دعينا نذهب ونلقي نظرة على النهر .

كانت آنا متأكدة من أنها لن تنسى أبداً ذلك المساء ... ضياء

الشمس ولمعانه على وجه الماء . الهواء المليء بعبق الأزهار والأعشاب الرطبة تحت أقدامهما .

سارا بمحاذاة النهر وراقبا السنونو تحلق فوق المياه المتلألئة والاهتزاز الناعم للأشجار بفعل النسيم الهادىء

كان من الطبيعي أن يمسك مات بيد آنا ويسيران متلاصقين وتوقفا عند السور الحجري الذي يطل على نقطة التقاء جدول الطاحونة بالنهر الرئيسي .

ـ أحب هذا المكان (قالت آنا بنعومة)

فى مكانهما كانا يطلان على الطاحونة الغافية بين الأشجار .

ومن ورائهما بدت أطلال القصر المهجور

استندا على السور الحجري للجسر ونظرا إلى المياه .

ـ تبدين رائعة الجمال اليوم .

شعرت وكأنها ستختنق بأنفاسها المتلاحقة ، لم تستطع أن تزيح نظرها عن يديه القويتين المستندتين على السور .

شعرت بالألم في قلبها وبالشعور بالذوبان يجتاحها

بلعت لعابها بصعوبة قائلة :

ـ شكراً لك هذا لطف منك .

انتقل بنظره إلى وجهها وعنقها ومن ثم إلى روائها

ـ لون زرقة عينيك يتناسب تماماً مع زرقة الرداء

لا أعتقد أنك ارتديتيه من أجلي ؟

ـــ لا ... ليس بشكل خاص .

وبدون أن يتريح نظره عنها قال :

ـــ كنت أعلم ذلك .

لمسها بنعومة شعرت آنا بعدها بأن العالم كله والأحاسيس كلها قد ترسخت عندها

ـــ آنا ـــ ثم تبادلا القبلات

ـــ صغيرتي الرائعة .

همست لها بتلك الكلمات لتزداد التصاقاً به . ثم سألها :

ـــ هل تعتقدين بالحب من النظرة الأولى ؟

ضحكت بمرح :

ـــ فقط ... يحدث في الكتب فقط أليس كذلك ؟

ابتعد عنها قائلاً :

ـــ ربما .. ربما ... وربما لا

انحنى مرة أخرى على الحاجز الحجري

ـــ وماذا تقولين إذا أخبرتك أنني وقعت في حبك ؟

سقط قلبها بين أضلاعها لدى سماعها لكلماته تلك ...

لابد وأنه يمزح .

ـــ أنت لاتعرفني بشكل جيد . فكيف تقع في حب إنسانة تكاد لاتعرف عنها أي شيء ؟

ـــ وماذا يفيد أن أعرف شيئاً مما تقولين ؟ أعرف ماأشعر به . أشعر وكأن أحدهم قد ضربني على رأسي بمطرقة

أنظر إلى عينيك الزرقاوين وأشعر أنني أعرف فيهما . هل هذا هو الحب ؟ لم أشعر بهذا من قبل . لهذا لست متأكداً .

ـــ أظن أنك أصبت بالجنون ... ولكني أحب هذا . اخبرني بالمزيد

هز رأسه مرة أخرى .

ـــ أنت محقة . أنا مجنون . فأنا أيضاً لا أحب الفتيات الصغيرات ذوات الشعر الأشقر الناعم والعيون الزرقاء (أمسكها مرة أخرى) هيا ... هيا بنا من الأفضل أن نعود قبل أن تتأخري على صديقك ديف .

سارا جنباً إلى جنب على طول النهر . كانت آنا مأخوذة تماماً بما كان قد حصل بينهما . لم تستطع أن تأخذ كلامه على مأخذ الجد عندما اعترف بحبه . فمازال إحساسها وعقلها يخبرانها أن مثل هذا الكلام لايمكن أن يكون صحيحاً ... على الرغم من أنها كانت تتمنى من كل قلبها أن يتحقق ذلك .

تركها مات ما أن عادا إلى المطحنة إلا أنه أمسك بيديها الاثنين قبل المغادرة قائلاً :

ـــ شكر لك على هذا اليوم . سأسافر إلى الصحراء بعد الغد وسيسرني كثيراً أن أفكر فيك وبهذا المكان أثناء غيابي هناك .

حاولت آنا ألا تظهر خيبة الأمل على وجهها .

www.rewity.com

فبعد كل ماقيل وماحدث ... ماذا كانت تتوقع ؟

إنه غريب عَبَر أفق حياتها . وواقع حياته والطريقة التي يعيش فيها من ترحال وسفر يثبت ان حقيقة اختلاف نمط حياتهما ويكشفان عن الهوة العميقة التي تفصلهما .

ربما كان ذلك لصالحها ، وربما كان سفره الآن أفضل وذلك قبل أن تسمح لقلبها بالوقوع في حبه .

ابتسمت له وقالت :

ـــ لقد كان يوماً لطيفاً ... أتمنى لك رحلة سعيدة

ـــ بالطبع ... (ضحك بارتباك) سأقضي وقتاً رائعاً في الصحراء نقوم بحفريات حمقاء في قلب الصحراء وتحت الحر والحرارة الرهيبة .

ـــ لا أظن أن ذلك بهذا السوء .

ـــ بل إنه لكذلك . فهو آخر مكان يود الإنسان أن يمكث فيه .

أخذا يدها إلى فمه وقبلها بنعومة .

ـــ ولكني سأعود بعد ستة أسابيع ... سأكلمك عند عودتي اتفقنا ؟

ـــ اتفقنا ...

وافقته مع أنها كانت متأكدة تماماً أنه لن يفعل ولكن ....

يحلو للإنسان أحياناً أن يحلم ....

كانت الدنيا تمطر عندما خرجت آنا من البيت وأغلقت البوابة

الخضراء وراءها .. وضعت مفتاحها داخل صندوق البريد وصعد بسرعة إلى سيارة التاكسي وبدون أن تنظر إلى الوراء .

استمر هطول الأمطار طوال المساء وبينما كانت السيارة تتجه الشمال ... كان الجو يعكس تماماً نفسيتها والأحاسيس التى كا تنتابها . أخذت آنا تحدق في المنظر الأخضر الذي كان يمر أمام عينيم

تمنت لو أن شيئاً خارقاً يستطيع أن يمحي كل الأفكار والذكريات عقلها ... ولكن على العكس أخذت هذه الذكريات تتوالى واحدة الأخرى . كم كانت حمقاء عندما اعتقدت للحظة واحدة أنه باستطا الهروب من مات . فهو معها وفي كل لحظة ويسخر من أفكارها تلك

تساءلت ... ماذا كان يمكن أن يقول لوالدته ؟

مفكرة معرفة استيلاء حقيقة المشكلة التي كانت بينها وبين م كانت ترعبها . فوالدته لم تكن في يوم من الأيام راضية عن زواجه منها بـ السرعة . فقد طلبت مراراً وتكراراً أن ينتظر قليلاً ليتعرف كل منهما الآخر بشكل أفضل ... ربما كان ذلك أملاً منها في أن يتراجع مات هذا الزواج ... فعلى كل حال لم تكن آنا تنسجم تماماً مع والدته . يكن هناك من شيء يمكن أن يجمعهما .

ولكن ... كم يلزم للإنسان من الوقت ليقع في الحب ؟

لمعرفة ذلك لابد من شخص معين وخاص جداً يستطيع أن يأ بمجامع قلبك دون الناس جميعاً ويلمس روحك بلمسة سحرية .

كان المطر قد توقف عندما وصلت إلى كروس وايت . والشمس قد بدأت بالمغيب . كان المكان بأكمله يوحي بالهدوء والانتعاش خاصة وأن الأرض كانت تبعث رائحة طيبة بعد هطول المطر .

توقفت آنا قليلاً عند بوابة الحديقة تماماً عندما بدأ عصفور بتغريد ألحان شجية . وكأنه كان يحي بهجة الحياة وسعادتها .

دفعت الباب وعبرت الممر الذي يقودها إلى البيت .

كانت الحديقة عبارة عن حقل من الزهور الصيفية . رأت حدتها بين الأزهار تعمل على قلع الأعشاب الضارة وقد ارتدت القفازات الخاصة بذلك ... « ماأحلى الرجوع إلى البيت ؟ »

هكذا فكرت آنا .

ـــ آنا ... لقد عدتِ ؟

ركضت إليها جدتها وعانقتها بشوق . بعد ذلك حدقت في وجهها ملياً .

ـــ تبدين متعبة ... ماالذي حدث ؟

دخلتا إلى المطبخ الصغير الأنيق .

ـــ اجلسي قبل أن تفقدي قوتك . لقد أعددت بعض السلطة والحساء للعشاء .

شعرت آنا بالضعف . واندفعت الدموع في عينيها .

ـــ لست جائعة جدتي .

ـــ هراء ... أظن أن الجوع نصف المشكلة التي تعانين منها ... هيا يبدو أنك مررت بمجاعة .

كانت كات تتحرك حولها وتضع الصحون على الطاولة .

قبل العشاء صبت لآنا فنجاناً كبيراً من الشاي الساخن .

ـــ هيا ... ابدئي بهذا . بينما أنهي اعداد الحساء .

رشفت من الشاي قليلاً وشعرت بالأمان أخيراً فحب كات كان يغمرها بدفئه ... في هذه اللحظة لم تكن تريد إلا أن تعيش بسلام في كنف هذا البيت المريح .

بدت جدتها كما كانت دائماً ماعدا شعرها الذي غزاه بعض الشيب أما عيناها فبراقتان كما كانتا دائماً . خطواتها رشيقة . تلبس البنطال العريض الخاص بالعمل في الحديقة ... لم تهتم كات في يوم من الأيام بمسألة الثياب على الرغم من أن آنا تعرف أن لديها العديد من الثياب الأنيقة تلبسها في المناسبات الملائمة .

تململ وبيستر قليلاً وهو مستلقٍ بجانب الموقد . رفع رأسه قليلاً وفتح عيناً واحدة ناظراً إلى آنا بعدم اهتمام ومن ثم عاد إلى النوم مجدداً .

ضحكت آنا قائلة :

ـــ هذا القط لم يتغير أبداً ... أليس كذلك ؟ ألا تظنين أنه كان عليه أن يقدم التحية على الأقل ؟

ـــ لا تبالي .. فهو يتقدم في العمر ... هل ستقولين لي ما الذي

يرى ياآنا ؟ لقد كلمني مات من نيويورك قبل مجيئك بقليل ... بدا لي كأنه يعاني من مشكلة ما .... ماذا فعلت لذلك الفتى المسكين ؟

ـــ لقد تركته ... (قالت آنا باختصار) .

اتسعت عينا كات من الدهشة

ـــ لقد ... ماذا ؟ يالهي ما الذي أسمعه .. هذا لايجوز

أي كانت الأسباب وعلى كل ماذا حدث ؟

فنهضت آنا .. لم تكن تدري ماذا تقول اتجهت إلى النافذة ونظرت لى الحديقة .

ـــ تركته لعدم إخلاصه لي

نظرت إلى جدتها بعيون حزينة .

ـــ هل أنتِ متأكدة ياعزيزتي . وهل تعرفين من هي ... ؟

اومأت آنا بالايجاب

ـــ آه ... نعم .. وآنا متأكدة منها ... إنها ابنة خاله سارا .

ـــ وهل اعترف بذلك ؟

ـــ لا ولكن ...

ـــ ومن أعلمك بذلك ؟

ـــ مخابرة مجهولة ... هل تصدقين ذلك ؟ كان ذلك منذ خمسة أشهر ... تماماً بعد ... (توقفت عن الكلام وتنهدت)

كان مات في رحلة في المانيا الغربية .. اتصلت امرأة ادعت بأنها

صديقة أو فاعلة خير . قالت أريد أن أسأل زوجي عن حقيقة علاقته بسارا بارات . وضعت السماعة واتصلت برقم الفندق الذي قال أنه سينزل فيه بألمانيا ... قالوا لي إنه لم يكن بالفندق . وإنه لم ينزل فيه في المدة الأخيرة

ـــ ولكن هذا لا يعني أنه كان مع سارا ... أليس كذلك ؟

ـــ لا ... لا يعني ولكن وكما قلت لك . لم ينكر ما واجهته به أيضاً . حتى إنه لم يعطِ سؤالي أية أهمية .

بل طلب مني ألا أتدخل بصداقاته .

ـــ ولكن ... طالما أنك علمتِ بخيانته لكِ منذ خمسة أشهر ما الذي منعك من تركه إلى الآن ؟ .

ـــ لا أدري .... وقتها تأملت كثيراً ولكني قررت أن أعطيه فرصة أخرى ... كنت أعتقد أنه إذا اعترف بعلاقته بها واعتذر عن غلطته لكنت سامحته (تنهدف بعمق)

بعد ذلك ذهبنا إلى تلك الحفلة في نيويورك ورأيته على الشرفة يقبل سارا ... لم أستطع أن أتحمل أكثر من ذلك ياجدتي ... لم أستطع !!

ـــ ولكن ... أريدك أن تتمهلي قليلاً ... ألا يعقل أن تكون حالتك النفسية قد زادت الأمور سوءاً . فمنذ وفاة الطفل وأنتِ ...

هزت آنا رأسها وقد فقدت صبرها .

ـــ ليس للطفل أية علاقة بالموضوع . أنا أحب ... كنت أحب

مات واعتقدت أنه أحبني أيضاً ... لا أدري ماالذي حصل لنا ... إننا نهرب من بعضنا . لايقوم أحدنا بمواجهة الآخر بما لديه ... أنا متعبة من كل شيء . أريد فقط بعض الراحة والهدوء .

أحاطت كات حفيدتها بذراعيها بحنان ... بدت آنا شديدة النحول أما عيناها فبحيرتان زرقاوتان يغلب عليها سحب الحزن والقلق .

ـ اسمعي ياعزيزتي ... اذهبي إلى سريرك الآن . وسأجلب لك بعض الحساء الساخن .. بعدها عليكِ بالنوم وسيكون لنا حديث آخر في الصباح وسنقرر ماسيكون علينا فعله بهذا الخصوص .

نهضت آنا بهدوء ... كانت تود أن تخلد إلى غرفتها حيث أحلام الطفولة والمراهقة البهيجة وحيث تستطيع أن تنام بهدوء إلا أنها وبعد أن أخذت جدتها صحن الحساء الفارغ إلى المطبخ وتمنت لها ليلة سعيدة . وجدت أنه من المستحيل التخلص من تعبها وقلقها في لحظة واحدة .

تساءلت ماذا يمكن أن يكون رد فعل مات عندما يكتشف عدم وجودها في البيت . هل سيلحق بها إلى كروس وايت !؟

كانت متأكدة من أنه لن يفعل ... فقد كان يعتز كثيراً بكرامته ... لابد وأنه سيتأكد من عدم رغبتها في متابعة العيش معه وسينهي الموضوع عند هذا الحد .

ولكنها في نفس الوقت كانت تسأل نفسها . ماالذي يدعوه إلى المجيء إلى لندن ؟ المنطق يقول .. أن الذي قطع كل تلك المسافات من

بعد ذلك ضمها زوجها إليها وجعلها تنسى كل شيء مشاكلها شكوكها حتى رغبتها في إخباره عن الحمل .

استيقظت آنا ببطء وأخذت تتحسس بيدها وهي معمصه الوسادة الخالية التي نام عليها مات الليلة الماضية .

فتحت عينيها لدى إدراكها غياب مات ... إلا إنها تمنت لو أنها لم تفعل إذ شعرت بألم شديد . وضعت يديها على صدغيها ونهضت من فراشها واتجهت إلى الحمام .

بعد أن أخذت حماماً نظرت إلى نفسها في المرآة .

ـــ تستأهلين ذلك . (قالت لها الصورة التي انعكست على المرآة) فكل الكتب تقول إن الكحول مضرة لكِ وللطفل .

ليكن هذا درساً لكِ .

ـــ اصمتي (اجابت صورتها) لم أشرب إلا كأساً واحداً وهذا لا يؤذي أحداً .

ـــ تعرفين ماذا يقال إن اولئك الذين يكلمون أنفسهم

(قال لها مات الذي كان يقف عند الباب)

استدارت آنا بسرعة لدى سماعها لكلماته .

ماذا سمع يانرى ؟

لاحظت أنه يرتدي قميصاً مشجراً عليه بعض الأحرف باللون الأسود .

ـــ ماذا تريد ؟ (سألته بهدوء) .

جعله الغضب ينسى كل أصول اللباقة والأدب :

ـــ قلت لك ألا تتحركي من مكانك ألم أقل لكِ ذلك ؟

(أجابها بوحشية)

إلا أن كلماتها له وضعته في الحال ضمن أصول اللباقة

ـــ وأين أنت الآن ؟

ـــ في البيت . لقد عدت لتوي . وأنا متعب وجائع .

بحق السماء آنا .. لمَ لم تبقِ في البيت ؟

ـــ أنت لست بحاجة إلى يامات . فأنت أكثر من قادرٍ على العناية بنفسك . أما عن سبب تركي للبيت وعدم انتظاري لك . فأنا لم أجد من فائدة في ذلك .

ـــ أنت مصممة على رؤية كل شيء يتهدم . تودين أن ترسمي النهاية بيدك .

ـــ لن أعود إلى البيت إذا كان هذا ماتريده ؟ .

لم يجبها لعدة ثوانٍ ، بعد ذلك قال بهدوء :

ـــ انظري ... علينا أن نتكلم ... لايمكنك الخروج من حياتي بهذه البساطة .

ـــ لقد تمَّ ذلك بالفعل

تخللت أصابعه شعره بعصبية بالغة .

ـــ انه زواجنا آنا ... بحق السماء ألا تدركين ذلك ؟

ـــ ألا يعني ذلك شيئاً لكِ ؟

ـــ بلى ... تماماً عما يعنيه لك !!! أرجوك مات لاتحاول أن تؤثر علي بكلماتك تلك . والأهم من ذلك لاتحاول تحميلي مسؤولية أخطائك .

ـــ حسناً . (كان يحاول أن يهدأ نفسه) حسناً . أنا آسف ولكن مازلت اعتقد أنه علينا أن نتكلم .

ـــ لا أريد أن أتكلم عن أي شيء . وليس هناك مانتكلم عنه . ألا تستطيع أن تفهم ذلك ؟

تنهد بصبر .

ـــ دائماً مستعدة للقتال والصراع . هل مازال لديك العزم على الصراع ؟

ـــ لقد دار الصراع بيننا منذ أن تزوجنا . والآن لاأريد إلا السلام والراحة . لذلك أرجوك ... إتركني لوحدي .

لم يتمكن مات من إمساك نفسه عن إطلاق بعض الشتائم سمع بعدها إشارة إنهائها للمكالمة .

حدق في جهاز الهاتف لفترة من الزمن . ونظر بعد ذلك إلى الكرسي الخالي الذي اعتادت أن تجلس عليه زوجته وشعر باليأس والغضب يملآن كيانه فكل شيء في هذا البيت يذكره بها . ففي كل ركن من البيت تركت آنا بصمتها وجزءا من روحها ... لقد مضى على صراعه مع آنا أكثر من

ستة أشهر فقبل الآن كان السبيل الوحيد للخروج من هذا الوضع هو العمل فقد كان العمل قادراً على تنظيم أفكاره لعدة ساعات من اليوم . وكان ذلك كافية ليواجه حائط الصمت الذي بنته آنا بينها وبينه .

صب لنفسه كأساً ... كانت الساعة ماتزال التاسعة والنصف صباحاً ماذا كان بإمكانه أن يفعل ؟.. قرر أخذ حمام وتغيير ملابسه بأقصى مايمكن خلال ذلك حاول جاهداً عدم النظر الى القسم الفارغ من الخزانة حيث كانت ثياب آنا منذ ساعات وبدون أن يتناول أي شيء من الطعام توجه إلى سيارته مرة أخرى .

الفصل الثامن

بعد فترة توقفت آنا وعادت أدراجها إلى البيت . بدا البيت فارغاً وقد اختفت سيارة مات السوداء وبقيت السيارة الحمراء الصغيرة . في غرفة الجلوس كانت رائحة عطر سارا مازالت تعبق في المكان .

على الطاولة كانت الصينية ماتزال هناك وفناجين القهوة عليها . وكان هناك شيء آخر ... ورقة صغيرة تحتوي على بعض الكلمات . أمسكتها بيد مرتجفة وقرأتها .

« سأعود في أقرب وقتٍ »

مرفقة بالورقة . كانت هناك ورقة أخرى . نظرت إليها

آنا بقلب دامٍ . كان شيكاً مصرفياً بألفي جنيه .

حدقت في الشيك . كان آخر إهانة لها .

وآخر طلقة أطلقها عليها مات .

لقد كرهته في تلك اللحظة .

ـــ حقير

وبدون أن تفكر لحظة واحدة . قطعت الورقة ورمتها على الأرض .

تمشت في الغرفة ... كانت تغلي غضباً واسترجعت في ذاكرتها جميع

الذكريات المؤلمة والمهينة التي تعرضت لها خلال فترة زواجهما القصيرة .

كانت هناك سارا ونظرتها الفونية لآنا . وكان هناك مات بأنانيته اللامتناهية

وأخيراً استرجعت نفسها ... الغبية التي تركته يغويها ويجعلها تستسلم له . كان بإمكانها أن تعارضه أو توقفه بكلمة واحدة ... ولكنها في الواقع لم تكن لديها أية رغبة في ذلك . فعواطفها تغلبت على عقلها كما كان يحدث دائماً .

فما أن كان يضع يده عليها ويكلمها بحنان حتى يذهب كل تفكير منطقي

ولكن لا ... هذا لن يحدث مرة أخرى ، لن تراه ثانية أبداً .

وهذه المرة قد حددت موقفها ولن تتراجع عنه . ستذهب إلى المحامي وتبحث معه أمور الطلاق .

ولكنها وبعد أن هدأت أعصابها . لم تستطع المحافظة على الوعد الذي قطعته على نفسها وضعت يدها على بطنها .

« الطفل » لم تخبر مات عن الطفل .

وماذا إذن ؟ ... لابد وأنه بالنسبة لمات لن يزيد الطفل الامر الى سوءاً .

ولكنها كان لابد أن تخبره

رفعت نظرها ولاحظت أحدهم ينظر إليها من خلال النافذة العريضة في غرفة الجلوس .... كان ذلك وجه ديف .

ـــ اعتقدت أن لديك ضيوفاً ... لقد سمعت أصواتاً .

ضحكت آنا

ـــ لقد كنت أنا ... كنت أتحدث إلى نفسي .

ـــ هذه العلامة الأولى الى الجنون آنا ...

ـــ إذن لابد وأنني أكاد أصاب به ... هل كنت تريد شيئاً ما ؟ أو أنك فقط أتيت لزيارتي ؟

لاحظت أثناء حديثها مع ديف أنها لم تكن مضيافة ... إلا أن ديف أيضاً أتى في الوقت غير المناسب

ـــ حاولت الاتصال بك ولكن يبدو أن هناك عطلاً ما في الخط جئت لأخبرك فقط أن جدتك ووالدتي سيقضيان هذه الأمسية في المدينة .. ستذهبان لمشاهدة فيلم سينمائي .

كانت جدتك قلقة عليك لذلك جئت أخبرك .

ـــ آه ... شكراً ديف .

فكرت آنا أن تقدم له فنجاناً من القهوة ولاحظت أنه كان يحدق في الصينية الموضوعة على الطاولة .

ـــ هل زوجك هنا ؟

ـــ لقد ذهب (أجابته باختصار) مع صديقته .

حدق فيها ديف .

ـــ مع صديقته ؟

ـــ نعم واسمها سارا بارات . سمعت عن شركات بارات للبترول أليس كذلك ؟ ... إنها ابنة خاله أيضاً .

يفكرون في الاحتفاظ به داخل العائلة .

بدا صوتها عالياً وحاداً على الرغم من أنها لم تقصد ذلك . ولم تكن تقصد أيضاً البكاء . ولكنها بكت وكانت ذراعا ديف جاهزتين لاحتضانها ..

وتمسح بها دموعها .

ابتسمت له بضعف .

ـــ أنا آسفة ... لم أقصد فعل ذلك .

ـــ لابأس أنا على استعداد دائم . لم تقل لي لوسي إن الأمور بينكما وصلت إلى هذا الحد . كان يجب أن تخبرينا .

كانت منزعجة لأنها لم تخبره ولم تثق فيه .

ـــ انها أشياء لاتقال دائماً ولاتنشر بين الناس .

ـــ آنا ... نحن لسنا الأناس الذين تقصدينهم (اعترض) هل هناك من شيء يمكن أن نساعدك به . ماعليك إلا أن تذكري .. أنت تعرفين ذلك .

أخذت يده بين يديها ...

ـــ شكراً ديف ... أعرف ذلك .

ـــ حسناً .

نظر ديف في عينيها . كانت عيناه البنيتان تذكرانها بكلب جدها .

ـــ من الأفضل أن أذهب الآن ... ولكن إذا كنت بحاجةإلى شيء ما ...

ـــ شكراً ديف (قالت آنا بثبات) وإذا أردت أي شيء سأطلبه من جدتي .

ـــ آه ... نعم ... أعتقد ذلك . إلى اللقاء آنا .

بعد ذهاب ديف شعرت آنا بالوحدة ... نظر ويبستر اليها من مكانه واقترب منها وهو يموء ....

ـــ اصمت أيها العجوز . (تنهدت آنا بقوة) .

« هل ستصبح الحياة هكذا في المستقبل ؟ »

وإلى أن تصبح مسنة ؟

وإذا لم تحصل على مات .... ؟

ليس مهماً فعلى الأقل لن تتألم بعد اليوم . ولكنها ستبقى وحيدة .

« لا ... فبعد عدة أشهر سيصبح لي ابن ... نعم »

في غرفتها قامت بتبديل غيار الفراش .

كانت تريد أن تتخلص من كل أثر لمات في الفراش

ولكنها لم تكن تريد أن تتخلص من حبها له .

ـــ أنت ماذا ؟ (سألتها لوسي) هل قلت إنك حامل .

أقصد طفل ... ورضاعات ... وحفاضات أطفال .

ـــ نعم (أجابتها أنا بسعادة)

ـــ كيف ... أحب حياتك ... الحب ... والحمل ... وهدية تك ومتى ستكون الولادة ؟

ـــ في نهاية آذار ... سيأتي الطفل في الربيع

ـــ آه هذا لطيف جداً ... وهل يعرف مات بذلك ؟

ـــ لا ... إنه لايعرف .

ـــ ألا تلاحظين أنه من الواجب عليك إخباره ؟

ـــ إنه في الصحراء . ولا أعرف عنوانه .

ـــ هذا ليس عذراً . اكتبي إلى المكتب وسيجدون طريقة مالايصال الرسالة أو اخبري امه .... يجب أن تخبريه .

ـــ أعرف ... ولكني اعتقد أنه من المناسب الانتظار لحين عودته في كل شيء ... لايمكنه أن يفعل أي شيء ولا أريده أن يعتقد أنني لا أستطيع التصرف بدونه .

ـــ وهل يمكنك التصرف بدونه ؟

فكرت آنا بسؤال لوسي وهي تقود سيارتها باتجاه الطاحونة .

لقد مرت عدة أسابيع على ذهاب مات . قضت خلالها أوقاتاً سيئة وافتقدت مات كثيراً . إلا أنها لم تستسلم لذلك الشعور . طبعاً اعدها كثيراً تواجد جدتها ولوسي حولها .

كان الوقت خريفاً ... يعم المكان رائحة دخان الخشب وينتشر هنا وهناك الأوراق الصفراء . كما كانت المستنقعات تغمر بالضباب كل صباح وكما كانت تشاهد أسراب السنونو تقف على خطوط الهاتف بانتظار تجميع نفسها للهجرة إلى الجنوب إلى وصولها إلى الطاحونة ... اوقفت آنا سيارتها أمام الطاحونة ودخلت الى البيت عن طريق الباب المؤدي إلى المطبخ .

شاهدت ويبستر ممدداً بتكاسل امام الموقد وتجاهلها كالعادة

وضعت الطعام للقط وبدأت بإعداد العشاء . كانت تصلها الأصوات القادمة من المعمل الخزفي الخاص بجدتها حيث كانت كات تنجز طلبات أعياد الميلاد .

ابتسمت آنا وفكرت بعيد الميلاد في كروس وايت ...

لم تكن قد قضت أي عيد مع مات .

حيث أن تقاليد عائلة تبنانت كانت تقضي باجتماع جميع أفراد الأسرة في آشلي بارك . والى جانب استيلا . العديد من الناس أيضاً والكثير من الطعام والشراب ...

كان مات قد أعرب لها صراحة عن كرهه لهذه التقاليد إلا أنه كان مجبراً على الالتزام بها .

ارتجفت من الفكرة ... فبينها وبين أعياد الميلاد مايزال الوقت مبكراً . وإلى أن يحين ذلك هناك احتمال لحدوث العديد من الأشياء .

رن جرس الهاتف . هرعت عبر الصالة لتجيب .

فوجئت بسماع صوت استيلا تينانت . على الطرف الآخر من الخط .

ـــ هل هذه أنت آنا ؟ سألت بحذر

ـــ نعم استيلا ... كيف حالك ؟

ـــ جيدة جداً ياعزيزتي وأنتِ ؟

ـــ بخير .. شكراً لك .

كانت هناك فترة توقف بينهما الحديث كانت آنا تسمع خلالها صوت تنفس استيلا : وتستطيع تصورها جالسة على كرسي بيردتها وأناقتها المعهودة .

ـــ كيف حال كارولين وأنابيل ؟

سألت آنا على أمل أن تتشجع استيلا للكلام .

فكارولين وأنابيل أختا مات .

ـــ الاثنتان بخير . شكراً لك آنا . اعرف أنك ومات لستما على وفاق في الوقت الحاضر ... إلا أنني رأيتُ أن اتصل بكِ وأخبرك أفضل من أن تقرأيه في الجرائد .

تجمد الدم في عروق آنا .

ـــ أقرأ عن ماذا ؟ هل حدث شيء لمات ؟

كانت تسأل بلهفة كبيرة متجاهلة خفقات قلبها الموجعة وارتخاء قدميها وركبتيها

ـــ لقد تم احتجازه من قبل بعض المخربين في حقول آبار البترول .

ـــ ماذا ؟

امسكت آنا سماعة الهاتف بيديها الاثنتين وقد تجمدتا من الانفعال

ـــ لقد هوجمت حقول النفط من قبل بعض المخربين وقد تم حجز كبار المسؤولين من بينهم مات ... ألم تشاهدي التليفزيون . لقد عرض الحادث في أخبار الصباح .

ـــ لا ... أنا لاأشاهد التلفاز كثيراً ... أرجوك اخبريني عن كل شيء ... ماذا حدث و

ـــ حسناً ... الأمور ليست واضحة حتى الآن . كلُ مانعرفه أن المخربين يطلبون فدية مقابل المحتجزين .... لقد حاولت الاتصال بكِ قبل الآن إلا أنني لم أحصل على أية استجابة)

ـــ صحيح ... كنت في المحل .

كانت آنا تفكر في النساء والأطفال القلقين على الأزواج المحتجزين أيضاً مع مات ... لابد وأن الكثير منهم لديه زوجة أو أطفال ... مثل مات لديه زوجة (وضعت يدها على بطنها) وطفلٌ أيضا .

ـــ وماذا تم من إجراءات حتى الآن لفك أسر المحتجزين ؟

ـــ كما قلت لك ، الأمور ليست واضحة حتى الآن ... يعتقد جيمس أن الموضوع سينتهي قريباً .

ـــ شكراً لك لأنك أعلمتني استيلا ...

— أنت مازلتِ زوجة مات . ولك الحق في معرفة مايحدث من الأفضل أن أضعك بالصورة خاصة وأنه من المحتمل أن يأتي إليك بعض الصحفيين ... على كل حال : لانريد أن يعلم العالم عن المشاكل التى يعانيها زواجكما ...

— تفكير منطقي .

« دعونا نحافظ على المظاهر » فكرت آنا ... فلا يهم أن يتعرض ابنها للحظر ... المهم أن تحافظ العائلة على مظهرها أمام الرأي العام .

ولكنها عادت وفكرت أنها كانت قاسية بالحكم عليها . فرغم كل شيء مازالت استيلا متأثرة بحياتها وتقاليد العائلة حتى في اللحظات العصيبة .

— وأنا أيضا أظن أنني يجب أن أعلمك عن شيء ...

اني أنتظر طفلاً .

— آه ... ياله من خبر عظيم ولكن .... (بدا صحتها ضعيفاً)

— إنه طفل ماثيو ... (أضافت آنا بسرعة . سمعت تنهيدة ارتياح من والدة ماثيو .

— أنا مسرورة لأجلك كثيراً ... أنا متأكدة أن كل شيء سيسير بطريقة أفضل هذه المرة ... أليس كذلك ؟

ولكن ماذا تعتقد استيلا ؟

هل تعتقد أن الطفل هو كل ماينقصهما لاستمرار حياتهما الزوجية

— وهل يعرف مات ؟

— أخشى أن أقول لك إنه لايعرف شيئاً

— لا بأس ... ستكون مفاجأة سارة له عندما يعود من رحلته ... هل تودين القدوم والإقامة معي إلى أن تمر هذه الأزمة ؟ أنا متأكدة أن مات سيسر أكثر إذا علم أنك تقيمين معي

تصورت آنا نفسها في ذلك البيت الكبير لاتفعل شيئاً إلا انتظار أخبار مات والآخرين . ارتعش جسمها .

— شكراً للدعوة ... ولكني افضل أن أمكث هنا مع جدتي ربما في وقت آخر .

— كما ترغبين ... سأعلمك بالأخبار تباعاً إلى اللقاء عزيزتي .

ظهرت جدتها عند الباب ما أن وضعت سماعة الهاتف .

— لقد تم احتجاز مات كرهينة في الصحراء .

بعد ذلك أخبرتها بتفاصيل مكالمتها مع والدة مات .

— جدتي ... ماذا سنفعل ؟

— لايجب أن تقلقي .... مات والاخرون سيكونون بأمان ستكون هناك مفاوضات ومناقشات في الشركة وفي النهاية سيتم تحريرهم ... انتظري وسترين .

وافقتها آنا كانت تود أن تطمئن بأي طريقة . حاولت الاستماع إلى

جميع الأخبار التليفزيونية ولكنها لم تستفد شيئاً . فلم يتم اضافة أية معلومة على الأخبار التي عرفتها من استيلا .

ظهر السيد جيمس في مؤتمر صحفي ... وعندما سئل عن الإجراءات التي تمت حتى الآن لطمأنة أهالي المحتجزين قال :

ـــ اننا نقوم بكل ما نستطيع من مفاوضات لانهاء الوضع .

كانت كلماته تحمل القليل من الراحة . إلا أنها أفضل من لاشيء

جلست على فراشها وحدقت في صورة مات ....

بماذا يشعر الآن ياترى .

هل يواجه مات ولأول مرة ظروفاً خارجة عن إطار سيطرته ؟

تساءلت عن مكان وجود سارا ...

هل يعقل أن تكون مع والدها ... تواجه الصحفيين ...

استغربت من نفسها ... لأول مرة تذكر اسم سارا ولاتشعر بالانزعاج والقلق .

فقد توقفت منذ فترة عن التفكير فيها والشعور بالألم .

شعورها الآن ارتقى عن درجات الألم .

حتى انها بحثت داخل نفسها عن ذكرياتها وأحاسيسها مع مات .

إلا أنها ولدهشتها . تذكرت كل ذلك . ولم تثر فيها تلك الذكريات أي أحاسيس أو استجابات حسية .

كانت وكأنها تسترجع حلماً بعد الاستيقاظ .

كيف استطاعت أن تنسى تلك الأشياء الجميلة التي شاركت مات فيها ؟

لقد أنساها الألم كل ذكرى جميلة وكل حلم حاولت تحقيقه في زواجها .

كانت شركات بارات كبيرة وتهم الحكومة والرأي العام

لذلك استمرت محطات التليفزيون ببث كل ماسيتجد من أمور .

ولكن المحزن بالنسبة لآنا ... كان الكف عن ذكر المحتجزين والالتفات إلى ذكر تفاصيل المفاوضات والمناقشات التي كانت تتم مع المخربين .

لم تنقطع آنا عن الاتصال اليومي باستيلا ولكنها ما أن كانت تسأل عن آخر الأخبار حتى تجد نفسها غير قادرة على متابعة الحديث بأي موضوع . وبذلك كانت تخرج بعد كل مكالمة محطمة ومتألمة .

ماعدا قلقها على مات . كان كل شيء يسير على أفضل مايرام بالنسبة لحملها . راقبت التغيرات التي حصلت على جسمها ورحبت بها . فهذا الطفل سيكون بخير . شعرت بذلك هذه المرة .

مرَّ الوقت بسرعة . أتت أعياد الميلاد وانقطعت جميع طرق الاتصال بسبب الهطول الغزير للثلوج . استمر الانعزال حوالي العشرة أيام ... بعد الإصلاحات كان الاتصال الأول لآنا مع استيلا .

ـــ لقد تم تسوية الأمر ... لقد اطلق سراح المحتجزين هذا الصباح .

أليس هذا رائعاً .

شعرت آنا بغصة في حلقها لدرجة أنها لم تستطع قول كلمة واحدة لعدة دقائق . وقفت بدون حراك تمسك سماعة الهاتف بقوة مقربة إياها إلى اذنها تستمع إلى كلمات استيلا

سألتها عندما استطاعت ذلك :

ـــ وهل الجميع بخير ؟

ـــ وفقاً لتقرير جيمس الجميع بخير ... لقد اخبرني أن المحتجزين سيعودون إلى لندن في أقرب وقت . آه آنا ... أكاد لا أصدق ماحدث ...

بعد محادثتها مع استيلا ... وضعت آنا السماعة

وانتبهت فجأة إلى خديها المبللين بالدموع .

كيف يحدث هذا ... وقد قررت ألا تهتم بمات .

لقد اعتقدت في لحظة من اللحظات أن كل شيء قد مات داخلها

لم يعد هناك من فرحة أو حزن أو أي شيء .

وعلى الرغم من ذلك . لم تنقطع دموعها . جلست على الدرجة السفلى الأخيرة

أحاطت جسمها بذراعيها واستسلمت للبكاء لدرجة أنها لم تعد ترى شيئاً أمامها .

حاولت أن تصدق ماسمعته لتوها ... إلا أنها لم تصدق ذلك .

إلى أن شاهدت الخبر على التليفزيون في المساء . حيث جلس المحتجزون في صف يجيبون على أسئلة الصحفيين .

ثم وجدته ورأته ... كان يبدو شاحباً وقد نمت لحيته وطال شعره ... أزاح شعره بيده ... كانت تلك حركة مألوفة لديها ... وارتاحت أخيراً .

ابتسم وتلكم الى أحد الصحفيين

لقد اعتقد آنا في وقت من الأوقات انها لن تراه الآن .

اقنعت نفسها أنه سيموت وكان أملها كبيراً . لدرجة أنها فقدت الإحساس بكل شيء الآن وهي تراه حياً أمامها .

اتصلت استيلا بها في اليوم التالي . لتخبرها أن مات لن يعود إلى انجلترا مع الآخرين .

ـــ هناك الكثير من الأعمال التي يجب إنجازها في حقل البترول من أجل البدء في الإنتاج من جديد . ولهذا سيبقى مات للإشراف على الفريق الجديد الذي أرسله مات إلى حقل النفط هذا منطقي آنا أليس كذلك ؟ فهو المسؤول الأول هناك ويعرف أكثر من غيره في جميع الأمور

ـــ أدرك ذلك ... وكم سيطول مكوثه هناك ؟

ـــ من الصعب معرفة ذلك . فالأمور كلها فوضوية . وهناك الكثير من الأجهزة بحاجة إلى التصليح . قد يستغرق ذلك مشهوراً على الرغم من ذلك . أتوقع أن يعود مات حالما يتم تدريب واستقرار الفريق الجديد . من المؤكد أنه سيعود قبل ولادة الطفل .. لذلك ليس من الضروري أن تتعبي

نفسك وتذهبي مع الزوجات لاستقبال الطائرة التي تنقل الرجال المحررين .

ـــ لا ... أفهم ذلك طبعاً ... شكراً لإعلامك اياي بكل شيء .

جلست آنا في المساء تراقب وصول العمال المحررين ولقاءهم مع زوجاتهم وأطفالهم . كان يبدو عليهما التعب وهم يجيبون على أسئلة الصحفيين . كما بدا السيد جيمس فخوراً بانتهاء تلك الأزمة والمبالغ الباهظة التي دفعها في سبيل ذلك استندت آنا على الأريكة بارتياح .

ـــ لاقلق بعد الآن ... أليس كذلك ؟ (عقلت كات)

سيعود مات بعد الانتهاء من أعماله . أما أنت فلديك الطفل ... عليك الاهتمام به ... تذكري ذلك .

بدأ الثلج يذوب ببطء . وتظهر تحته الأزهار الشتوية الصفراء . وأخذت آنا تشير على الرزخامة توالي الأيام . إلى أن أتى شهر آذار ولم يبق على الولادة أكثر من أسبوع . هذا اذا تمت الولادة في وقتها كما قال الطبيب .

ـــ ليس هناك مايقلق سيدة تينانت . كل شيء يسير على مايرام .

بتلك الكلمات طمأنها الطبيب في زيارتها الأخيرة لعيادته في البلدة .

«كل شيء سيكون بخير ... فقط لو أن مات يعود اليها »

فكرت آنا بحزن في طريقها إلى البيت .

فقد مضى أكثر من شهرين منذ أن تم إطلاق سراحه ولم تتلق أية كلمة منه ... كانت متأكدة من أن استيلا لابد وأنها أخبرته عن حمل آنا .

ـــ هل يعني هذا أنه غير مهتم ؟

على الأقل لو أنه أرسل إليها رسالة يعلمها فيها عن عدم اهتمامه

اوقف ماثيو تينانت سيارته أمام الطاحونة أشعر بالتوتر وهو يتقدم من بوابة الحديقة المهجورة .

كان من الأفضل له لو أنه اتصل قبل أن يأتي ولكنه خاف من رفض آنا التحدث معه . ولم يكن من حقه أن يلومها فقد غاب عنها أكثر من ستة أشهر .

أخذ نفساً عميقاً واجتاز الممر المؤدي إلى الباب الخلفي للبيت .

كان الباب مفتوحاً والهدوء يعم المكان ... على الرغم من تقدم ويستر للترحيب به

تمنى مات لو أنه يلقى مثل هذا الترحيب من إنسان آخر

دخل الى غرفة الجلوس ولم يجد فيها أحداً أيضاً .

شعر وكأنه دخيل على المكان اتجه إلى الطابق العلوي .

ماذا لو وجدته كات يتجول بين غرف النوم ؟

توقف أمام غرفة نوم آنا ... تردد قليلاً ومن ثم فتح الباب

كانت آنا مستلقية على السرير وظهرها باتجاه الباب

كان باستطاعته سماع أنفاسها الناعمة ... اقترب منها ونظر إليها وهي تسند وجهها على يدها مستسلمة لنوم عميق .

لاحظ أن شعرها أصبح أطول وامتد فوق الوسادة الوردية

ابتسم مات واقترب منها أكثر .

لم يكن قد وضع يده بعد على كتفها حتى لاحظ الانتفاخ الواضح من جسمها .

اضطربت مشاعره وتقلصت أصابعه . وأمسك أنفاسه في صدره . وقبل أن يدرك ماذا كان يفعل تراجع بهدوء إلى الباب وهبط مرة أخرى إلى المطبخ . توقف عن الإدراك والتفكير

لم يكن في عقله من فكرة إلا انتظار آنا لطفل .

طفل من ؟

كان قد كلم والدته هذا الصباح وأخبرته أن لدى آنا مفاجأة تنتظره

ياها من مفاجأة ؟!

لماذا لم تعطه والدته أية إشارة حول الموضوع ؟

لمَ لم تخبره آنا بالموضوع من قبل ؟

فمن خلال حجم الحمل لابد وأنها كانت تعلم به قبل رحيله الأخير عنها . في الصيف الماضي .

استرجع ذكريات لقائهما الأخير .... وتصريحه الواضح عن عدم رغبته في الأطفال .

« اللعنة » أهذا لم تقل له أي شيء ؟

شعر بالذنب الكبير ... لو أنه كان قريباً منها بعد وفاة دانييل . لو

أنه حاول تحطيم جدار العزلة التي وضعت آنا نفسها خلفه . لو أنه اشعرها بأنها ليست وحيدة

لكانا اجتازا محنتهما بعد وفاة ابنهما دانييل وبسهولة .

لو أنه حاول أن يشرح لها سبب عدم رغبته في ذلك الطفل .

لو أنه أخبرها أنه لم يكن يريدها أن تتعذب

لمن ذلك الطفل ... هل يعقل أن يكون طفلهما معاً ؟

ربما لا ...

إذن لماذا لم تخبره بشأن الطفل من قبل ؟

هز رأسه بغضب .

ـــ لا ... لايمكنك أن تقول ذلك عن آنا ... إنها مختلفة .

سأل نفسه مرة أخرى .

ـــ ولكن متى حدث ذلك ؟

هل حدث ذلك بعد حفلة نيويورك ؟

ممكن ولكن ....

قبض يديه في غضب مجنون ... هل يعقل أن يكون لآنا علاقة برجل آخر ...

ومن يكون ؟

هناك رجل واحد آخر في حياتها .

ديف وأيتاكر ..... لم يستلطف ذلك الرجل في يوم من الأيام .

لم يكن أمامه إلا ذلك الرجل . على الرغم من أن ديف يتحلى بأخلاق عالية .... وماذا في ذلك . ألا يعقل أن تكون آنا قد وقعت في حبه خاصة وأنها كانت تمر بظروف صعبة بعد وفاة دانييل .

والغريب في الموضوع .... لم يظهر على ديف ذلك أي شعور بالغيرة إثر زواج آنا منه ، هل كان ينتظر الوقت المناسب ... ؟

« ديف وايتاكر » ؟ .. لا ... هذا غير معقول ...

بدأ يشعر بالتوتر من جراء الهدوء الذي كان يسود المنزل .

عاد أدراجه إلى المطبخ حيث يمكنه أن يحدث أحداً ما ...

وجد ويبستر بانتظاره وبترحيبه المعهود .

« قهوة » نعم لمَ لايقوم باعداد قهوة لتهدئة أعصابه كان لابد أن يهدىء من أعصابه قبل أن يواجه آنا ...

الفصل التاسع

كان الهدوء يعم المنزل عندما استيقظت آنا من قيلولتها .

نزلت من السرير واتجهت إلى البهو ... نظرت من خلال النافذة بشكل لا ارادي تستطلع الطقس وماحولها من حياة .

كانت هناك السيارة السوداء .

سيارة مات !!

حدقت فيها غير مصدقة وخفقات قلبها تصدر أصواتاً عالية انتبهت إلى أن شعرها لم يكن مسرحاً . عليها

اتجهت لاارادي إلى السلم علها تصعد الى غرفتها لتصلح من شأنها . ولكنها اوقفت نفسها ضاحكة . فمهما قامت بتعديلات فإنها لن تستطيع إخفاء شكلها في الوقت الحالي ... هبطت ببطء مرة أخرى وتوجهت إلى غرفة الجلوس .

كان يقف أمام النافذة يحدق بالباب الذي ستظهر منه

توقفت قليلاً ، كان التعبير الواضح على وجهه غير مفهوم لها

وضعت يديها على بطنها في محاولة لحمايته وارتسمت على وجهها ابتسامة طفيفة .

WWW.RIWAYA.COM

ـ مرحباً آنا ... (قال بلطف) .

دخلت إلى الغرفة وردت عليه

ـ مرحبا مات ... هذه مفاجأة ... كيف حالك ؟

ـ بخير شكراً . (أشار الى فنجان القهوة) آمل ألا يزعجك اعدادي لفنجان من القهوة وأنا انتظر نهوضك من النوم

ـ لا .. أبداً . (قالت ببرود)

لابد وأنه صعد إليها أثناء نومها وراقبها لفترة وهي مستغرقة في سبات عميق ... شعرت بالإنزعاج من تلك الفكرة .

رسمت على وجهها ابتسامة ... بدا لها بأحسن حال .

تساءلت هل الرهائن الآخرين استردوا عافيتهم أيضاً .

بتلك السرعة .

ـ كنت سأسألك عن صحتك ولكن كما أرى ...

اجتازت الغرفة وجلست على كرسي غير عائبة بالمظهر الذي كانت فيه ... شعرها ... وحجمها الكبير .

على الأقل كان شعرها نظيفاً . كانت قد غسلته قبل زيارة الطبيب في الصباح ... تذكرت أنه كان يغسل لها شعرها دائما خلال فترة حملها الأول .

كان من الأفضل ألا تتذكر الماضي الآن . فتلك النوعية من الذكريات كانت تساهم في تحطيم الجدار الصلب الذي نبته لتحمي نفسها وتحافظ ـ على برودة مظهرها .

ـ متى عدت ؟ . (سألته بعد صمت قصير)

ـ الليلة الماضية ... مكثت الليلة في شقتنا وقدتُ سيارتي إلى هنا بعد مقابلتي للمحامي هذا الصباح .

جلس في الجهة المواجهة لها . وأخذ يحدق فيها بنظرة ثاقبة .

ـ كان عليك الاتصال .... ذهبت جدتي إلى المدينة مع السيدة وايتاكر .

ـ صحيح انني أحب كات . ولكني لم أقطع كل تلك المسافة لرؤيتها .

التزمت آنا الصمت ... تمنت لو أنها تستطيع التفكير في شيء تقوله ... إلا أن عقلها كان يلموّه الضباب الكثيف .

نهض من مكانه واتجه إلى الموقد . بدأ أنيقاً ببدلته الرمادية كما لاحظت فقدان زرار قميصه وربطة عنقه

ـ تبدو بحالة جيدة .

ـ هل كانت مفاجأة لكِ ؟

ـ بصراحة نعم

فهو على عكس بقية الرجال الذين أطلق سراحهم كان الوحيد الذي عاد إلى العمل ولم يعد إلى وطنه .

ـ هل قلقتِ عليَّ ؟

ـ ياله من سؤال سخيف . بالطبع قلقت عليك .

ـ اتساءل ... فيما إذا كان من الأفضل ألا أعود أبداً .

حدقت فيه بحدة :

ـ ماذا تعني بهذا ؟

أشار إلى حملها قائلاً :

ـ هذا ... كبداية .

لم تستطع آنا أن تفهم ... اختلطت عليها الأمور وهي تراه ينظر إليها بعينين باردتين . ارتجفت . ضمت يديها إلى بعضهما لألا يلاحظ ارتجافهما .

ـ من المضحك ألا تخبريني به عندما كنت هنا المرة الأخيرة . هل هناك من سبب خاص ؟ ولاتقولي إنك نسيتِ . فلا يمكن لأحد أن ينسى مثل هذا الموضوع وخاصة أنتِ ؟ ومتى ستكون الولادة ؟

ـ الأسبوع القادم ... وماذا في ذلك ؟ .. ماذا لديك ؟

ـ لابد وأنكِ يجب أن تعرفي اسم الأب ... لابد أن يسألك أحدهم عن اسم ذلك الأب الفخور .

لم يحدث في يوم من الأيام وأن شك في إخلاصها . شعرت بطعم الغضب مراً في فمها على الرغم من أنها بقيت على هدوئها .

ـ أظن أنه من حقك أن تعلم أنه ابنك

ـ ماذا ؟

ـ قلت ... أنه طفلك

ـ وهل تتوقعين مني أن أصدقك ؟ وكيف حدث هذا ؟ ومتى ؟

عن طريق المراسلة ؟

ـ كان ذلك في نيويورك . (كرهت نفسها لأنها أخذت تشرح له وتدافع عن نفسها ولكن كان عليها أن تفعل ذلك من أجل الطفل نفسه)

ـ تلك الليلة البتيمة ؟

ـ نعم ... بعدها .. شعرت بأعراض الحمل .

ـ هل هذا صحيح ... ولكن ... آنا

ـ صدق أولا تصدق ... فأنا لست مهتمة بهذا الموضوع .

ـ هذا ليس صحيحاً وإلا ماكنت حاولت إقناعي

ـ اعتقد مايروق لك اعتقاده .

ـ وهل يهمك اعتقادي .

ـ آه .. بحق السماء . بالطبع يهمني ... فأنا أحمل طفلنا وليس دمية .

ـ طفلي ؟

ـ وهل هذا موضوع يصعب استيعابه

ـ ألا يمكن أن يكون الأب إنساناً آخر .

اهتزت مشاعرها مرة أخرى . ضحكت وتعمدت إزعاجه قائلة :

ـ إذا كان ذلك صحيحاً ... هل سيؤثر ذلك على رجولتك .

شعرت بالصراع الذي كان يعانيه إلا أن في داخلها كانت تنمو رغبة جنونية في إزعاجه وإيلامه ... كانت تريد الانتقام منه بأية طريقة .

اندفع نحوها وركع بجانبها امسك يديها وأخذ ينظر في عينيها إلى أن تلاشى غضبه .

ـــ اخبريني بالحقيقة آنا ... والا سأغادر المكان حالاً ولن أعود ثانية .. (هزها بقوة) اخبريني آنا .. بحق السماء .

كان شديد القرب منها لدرجة أن صورتها انعكست على سواد عينيه

ـــ ماذا تريدني أن أخبرك ؟ لقد قلت لك الحقيقة ... إنه طفلك صدق أولا تصدق هذا عائد لك .

تنهد وارخى قبضته على ذراعيها .

ـــ أنا آسف آنا

نظرت الى عينيه .. بدا مهزوماً على الرغم من أنها لم تجد شيئاً تساعده به ... وضع يده على بطنها قائلاً

ـــ كبرت أكثر من المرة الماضية .

ـــ لقد اشتقت إليكِ (كان صوته رقيقاً)

ارتبكت آنا ... سألته :

ـــ لمَ لم تعد أو تتصل بي على الأقل ؟

كان صوتها معاتباً وضعها مرتجفاً على الرغم من أنها لم تقصد ذلك .

ـــ كنت خائفاً من رفضك لي ... خاصة بعد الطريقة التي افترقنا فيها . ولكني كنت أفكر بالعودة بأسرع وقت ممكن الا أن الظروف بعد ذلك .

ـــ آنا ... لقد افترقنا بما فيه الكفاية ... أنت لي وأريدك أن تعودي معي

سحبت نفسها من بين ذراعيه .. لم تلاحظ الدموع التي كانت تنهمر على وجنتيها لى أن أخذ مات يمسحهما بأصابعه

ـــ لا أريد إلا أن أضحك بين ذراعي . أنا احتفظ بك بقربي آنا ... أرجوكِ .

ـــ ليس بعد ... (عادت الأمور كما كانت في الماضي

ـــ ليس بعد ؟ (اعاد كلماتها مستغرباً)

ـــ مات ... أريد بعض الوقت لاستجمع نفسي ... لست قادرة على التفكير السليم في الوقت الحاضر ... أرجوك . هذا فوق احتمالي إذا كنت تكن لي بعض الحب أرجوك أن تفهم .

نهض من مكانه وأخذ يحدق فيها

ـــ وهل تتوقعين مني أن أذهب « مات أنت ولد طيب وأنا مشغولة جداً الآن ولا استطيع التحدث إليك » هل هذا ماتقصدين ؟

ابتعد عنها غاضباً .

ـــ أنت لم تفهمني

ـــ لماذا ... ؟ هل أنا بهذا الغباء . كان علي أن أفهم . أنه أصبح لديك طفل ... وهذا ماأردته مني ... وقد انتهى دوري أليس كذلك ؟

تجاهلته وأغمضت عينيها بانتظار مغادرته للمنزل

WWW.RAYTY.COM

سمعت صوت الباب الخارجي يفتح ويغلق من جديد ... بدلاً من أن يخرج مات ... توجه إلى المطبخ . بعد عدة دقائق نهضت آنا من مكانها واتجهت إلى المطبخ .

كان مات قد خلع سترته وربطة عنقه وعلقهما على كرسي في المطبخ وانهمك في خفق كمية من البيض في وعاء .

ـــ ماذا تعتقد نفسك فاعلاً ؟

ـــ العشاء (أجابها بمرح) عجة لاثنين ... جبنة وبندورة .

ـــ لا ... لست راغبة في ذلك شكراً . فالجبنة تؤذيني في حالتي والبندورة تسبب لي بعض الحساسية .

ـــ هكذا إذن ... صحيح لقد نسيت . سأقدم لك العجة فقط هل اضع لك بعض الزبدة على الخبز ؟ لمَ لاتقومين أنت بذلك و

ـــ لماذا تفعل هذا ؟

ولكنها فعلت ماقاله لها . وبدأت بدهن الخبز ببعض الزبدة .

ـــ أنا جائع .. ولم تعرضي علي أن أتعشى معك ... هكذا ... قررت أن أخدم نفسي بنفسي ... تماماً كما في الأيام الماضية .

ـــ ليس هناك من شيء كما في الأيام الماضية .

أخذ يطهو العجة ... شعرت آنا باللعاب يملأ فمها وازدياد شهيتها للطعام ... كان الطعام لذيذاً ... أكلت آنا بشهية كان من الغرابة أن تجلس مرة أخرى أمام مات ولكنها شعرت بارتباط لسانها وعدم قدرتها على النظر في عينيه

ـــ إنني مسرور لأنك أصبحت بصحة جيدة وقد زادت شهيتك عن ذي قبل ... ربما لأنك تأكلين عن اثنين .

ـــ هذا هراء .. (ازاحت صحنها الفارغ) . ماذا كنت تأكلون في الصحراء (سألته في محاولة لتغيير الحديث)

ـــ تريدين أن تعرفي .. حسناً .. الارز .

ـــ ولكنك لا تحب الارز .

ـــ عليك أن تحبي أي شيء إذا لم يكن أمامك من خيار آخر .

ـــ هل ترغب في بعض البسكويت أو الكيك ؟

ـــ صنع منزلي .

ـــ وبيدي أنا ... والخبز أيضاً .

ـــ وأنا الذي اعتقدت أنك لن تستطيعي التصرف بدوني .

ـــ لم أكن في يوم من الأيام عاجزة عن أي شيء . لذلك لايخطر ببالك أنك تقدم لي معروفاً كبيراً بمجيئك إليّ .

ـــ حسناً .. حسناً . أظن أنني أستحق هذا .

ـــ على كل حال تصرفت بشكل جيد ... فكل تلك الفترة لم ترسل لي حتى بطاقة

ـــ كنت دائماً أتردد في ذلك . (وضع يده فوق يدها)

كنت أود أن أكتب لك . ولكن لم أجد الكتابة كافية نظراً للحالة التي وصلت اليها علاقتنا ... لم يكن هناك مايمكنني قوله غير أنني

اسف ... وهذه الكلمة لاتنفع عبر رسالة ... بل تتطلب أن آتي شخصياً .

نظرت إلى عينيه مباشرة . كان باستطاعتها أن تفهمه ولكنها لم تكن قادرة على مسامحته .

ـــ ماهي أخبار سارا ؟

ـــ لم أرها .. على مايبدو فهي تعد لزواجها الذي سيكون خلال شهر حزيران (كانت كلماته تحمل لامبالاة واضحة وكأنه يتحدث عن الطقس)

حاولت آنا ألا تظهر أياً من مشاعرها الداخلية عندما تكلمت

ـــ حقيقي ... ؟ إذن فهي تمضي قدماً في مسألة زواجها من أندروكلين ؟

ـــ صحيح ... على الرغم من أنها لاتحبه ولكن مصلحة شركة بارات فوق كل شيء .

شعرت آنا بالسقفة على زوج سارا المقبل . ولكنها ابتسمت قائلة :

ـــ ولكنها تحبك ... أليس كذلك ؟

استغربت آنا من نفسها ... كيف أصبح باستطاعتها التحدث عنها هذا الموضوع بدون أن تهتز مشاعرها لذلك .

حول عينيه عنها

ـــ الحب يعني أشياء مختلفة بالنسبة للعديد من الناس . اعترف أنني

كنت غبياً . كنت اعتقد أنني قريب منك لدرجة تستطيعين فيها فهم حقيقة العلاقة التي تجمعني بسارا .

ـــ وماذا كان علي أن أفهم (سألته بغضب) لقد رأيت مافيه الكفاية . لم يكلف أحدكما نفسه من إخفاء تلك الأشياء عني ، على الرغم من أن الأمور كانت ستكون أرحم لو أنكما فعلتما فالجهل أرحم كما يقال .

ـــ ولكن لم يكن هناك من شيء لتخفيه (أجد مات على موقفه)

ـــ هل تعتقد أنني كنت اتصور ذلك ؟ . وتلك النكات الخاصة والطريقة التي كانت تنظر فيها إليك . والطريقة التي كنت إليها .

كانت ضانا تحدثه وعيناها مفتوحتان على وسعهما تملأهما ذكريات مؤلمة

ـــ اسمعي ... بغض النظر عن الطريقة التي كانت تتصرف بها سارا إلا انني لم أضع في اعتباري في يوم من الأيام أن أتزوجها

كنت أعرف محاولاتها إلا أنني لم أعر الأمر أية أهمية .

ـــ ولكنك لم تمانع في إنشاء علاقة معها . أليس كذلك ؟

ماذا عن تلك الرحلة إلى ميونيخ ؟ .

ـــ كما حاولت أن أقول لك من قبل ... لم أذهب إلى ميونيخ . لان الترتيبات تغيرت في اللحظات الأخيرة . وعقد المؤتمر في بروكسل بدلاً من ميونيخ ... يومها ذهبت مباشرة إلى المطار .. حاولت الاتصال بك ولكن لم أجدك في شقتنا .

ولدى عودتي بدأت بإلقاء الاتهامات فور دخولي من الباب

ولم تتركي لي أية فرصة لشرح الحقيقة .

ـــ وماذا كنت تتوقع بحق السماء .. ميونيخ أو بروكسل كنت أعتقد أنك مع سارا . هل كنت تظن أنني سأقبل بخيانتك وأتظاهر وكأن شيئاً لم يكن ؟

نهضت وبدأت بجمع الصحون .. كانت تريد أن تفعل أي شيء لتهرب من نظرات الحزن التي كانت في عيني مات .

ولكنه كان وراءها وضع يديه على كتفيها وأدارها لتواجهه

ـــ هل تعتقدين انني على علاقة جدية مع سارا ؟

ـــ حسناً ... أليس ذلك صحيحاً. (لاحظت أنها كانت المرة الأولى التي تواجهه فيها بهذا الاتهام) آه .. آنا لا أتهمك ... لقد كنت شديدة الحساسية وضعيفة . اعتقدت أن الزواج من الرجل الذي أحبه يعني السعادة وبدون الحاجة إلى الصراع من أجل الحصول على مأريد ... فيما بعد ... حطم الواقع أحلامي الرومانسية

ولم أتمكن من اتخاذ القرارات والخطوات الصحيحة .

قربها مات منه :

ـــ آه آنا ... لم تكن لي في يوم من الأيام أية علاقة بسارا .

ـــ وهل تتوقع مني أن أصدقك ؟

تنهد ... أطلق سراحها وابتعد عنها .. وكأنه تعمد أن يترك لها الفرصة للتفكير بعيداً عن تأثيره .

ـــ كما قلتُ لكِ من قبل ... الحب يعني اشياء مختلفة بالنسبة للناس لا أنكر انني في يوم من الأيام شعرت بعاطفة ما نحو سارا . ولكن كان ذلك منذ فترة طويلة . عندما كنت شاباً صغيراً لم أعرف بعد معنى الحب الحقيقي ... نعم الحب الحقيقي آنا... عندما يشعر الانسان أن سعادة شخص آخر أهم من سعادته ...

عندما يشعر الانسان انه بحاجة إلى الشخص الآخر في كل لحظة . وأن دقيقة واحدة في البعد عنه يحسبها ساعة ...

لم أشعر بذلك الشعور تجاه سارا وكانت تعرف ذلك .

غلطتي كانت في انني افترضت انك تعرفين كل هذا .

نظرت إليه آنا ... كانت تريد أن تصدقه .. ابتسمت بحزن .

ـــ إذن ... ها نحن أصبحنا أكبر وأنضج

ـــ نظرياً . لايتعلم الإنسان إلا من أخطائه . أليس كذلك .

ـــ ربما ... (وافقته ... إلا أنه قد حان الوقت لتغيير الموضوع فلا فائدة ترجى من استرجاع الماضي أكثر من ذلك ...

فلنترك الآلام علها تُنسى مع مرور الوقت .

بدأت بغسل الصحون

ـــ كم ستمكث في انجلترا ؟ (سألت مات الذي كان يحاول صنع الشاي)

ـــ لقد عدتُ لابقى (أخذ يجفف الصحون) لقد قدمت استقالتي .

ـ تقصد أنك ستترك شركة بارات ؟

ـ هذا صحيح ... قبلت العمل في الفترة الأخيرة الى أن يأتي خالي بالبديل

ـ ولكن لماذا ؟ أنت تحب عملك .

ـ انها مسألة نسبية ... لقد فكرت كثيراً في الآونة الأخيرة وعندما جمعت أفكاري لاحظت انني لم أكن أفعل أي شيء أصبحت كالآلة . لذلك قررت التوقف وإنشاء مؤسسة خاصة بي .

ـ ولكن هذا عظيم ... أين ؟

ـ لم أقرر بعد (لم يخبرها أنه شاهد مكتباً في مركز مدينة ليدز . فضل أن يخبرها بقراراته واحداً بعد الآخر ليتيح لها استيعاب كل شيء .

ـ يجب أن اسافر غداً إلى لندن لإنهاء بعض الأعمال في المكتب بعد ذلك . لديَّ ستة أسابيع أجازة ... هل تعتقدين أن كات ستمانع ؟

ـ ماذا ... هنا ؟ هل ستقضي إجازتك هنا ؟

لم يخطر ببال آنا أنه سيطلب ذلك . ولكن ... على كل حال أين كان سيقضي الاجازة إذا لم يكن معها ؟

ـ ولمَ لا ... هناك الغرفة الإضافية ... كما أنه من الأفضل أن أكون هنا قريباً من الطفل .

ـ اهتمامك يبدو غريباً .

أطبق شفتيه غاضباً ... لاحظت آنا أنه كان غاضباً من تعليقاتها .

ـ أنت لاتتركين أمامي أية فرصة .

ـ لا تكن غاضباً . مات ... أحب أن تبقى معي ... ولكن هذا إذا كانت لديك الرغبة في ذلك . وليس لأنه من واجبك تبقى . لذا ... إذا كنت تريد أن تذهب الى مكان آخر ... فالأمر سيان عندي .

ـ أنت لاتريديني على الإطلاق ... أليس كذلك ؟

ـ لم أقل هذا ؟ (لماذا كانت تحاول دائماً أن تؤلمه وتزعجه) ولكنها كانت محقة إلى حد ما ... فلم يظن من عادته أن يقدم الحنان والاهتمام لأحد ... أم أنها لم تكن تلاحظ ذلك .

وضعت يدها على ذراعه

ـ ربما .. علي أن اعتذر لك هذه المرة ... أنا آسفة مات . لم أقصد أن أؤذي مشاعرك إنه ... حسناً كنت دائماً الأقوى .

لم يكن مات قد أظهر في حياته أي مظهر من مظاهر الضعف كان دائماً هو القائد وهي التابع .

حتى في شؤون الحب ... لم تذكر آخا في يوم من الأيام أنها قامت بمبادرة ماتجو . مع أنها كل ماكانت ستفعله هو الاقتراب منه وإخباره أنها تريده وتحاجة إليه .

لم تلاحظ في حياتها ألم ... وحدته ... إذن لو أنها تحبه حقيقة ... لمَ لا ؟

ـ أرجوك . إبقَ مات (قالت برقة) أظن أنني سأكون
بحاجة إلى أن تقف معي اثناء الولادة .
كانت وكأنها قد أنارت ضوءاً داخله . رفع يدها إلى شفتيه وقبلها .
ـ انه إتفاق ... (قال برقة) .
قام مات في الغرفة الإضافية وفي الصباح كان الأول في الاستيقاظ .
تمشى قليلاً حول النهر بعد ذلك . أعد لآنا
كوباً من الشاي وأخذه إلى فراشها .
ساعدها في الجلوس . ورتب لها الوسائد خلف ظهرها .
استنشقت آنا من خلاله عبير الغابة والنهر ... كان يبدو شديد
الأناقة والشباب .
ـ هل تتناولين شيئاً على الفطور هذه الأيام ؟
ـ لا ... ولكنني سأقوم بإعداد فطورك إذا انتظرتني ربع الساعة
ـ وهل بإمكانك الوقوف أمام الغاز وأنت على هذه الحالة ؟ (اشار
الى ارتفاع بطنها)
ـ اقترب بما فيه الكفاية لاعداد وجبتك ... هيا ... ساعدني في
النهوض . (ساعدها في النهوض بصعوبة)
ـ يا الهي ... كل هذا طفل ... أم أن هناك فيلاً صغيراً ؟
ـ هل قلت لك أنك جميلة ؟
ابتعدت عنه ... حاولت إخفاء ارتباكها .

ـ لمَ يعتقد الرجال أن النساء الحوامل جميلات ؟
ـ أن مجرد معرفة الرجل أنه سبب ذلك الحمل يشعره برجولته ويشبع
غروره .
نظرت إليه بجدية .
ـ وهل تشعر بذلك حقاً ؟
ـ أنت لاتريدين معرفة حقيقة شعوري ... هل أعد لكِ الحمام ؟
ـ أجل ... أجل أرجوك .
استدارت وهي مدركة أنه ينظر إليها ... كان ثوبها شفافاً وشعرها
منسدلاً على وجنتيها ... عيناها مفتوحتين وشديدي الزرقة .. فمها
ورديا ... نظرت إليه وهو يقف عند الباب مبتسماً .
ـ ساخناً ... ؟
ـ ماذا ؟
ـ حمامك ؟
ـ آه .. نعم ـ شكراً .
خرج من الغرفة وبدأ بإعداد حمامها . كانت تستطيع سماع صفيره
وهي تمشط شعرها ... شعرت بالقلق فعلى الرغم من أنها لم تستلم نهائياً إلا
أنه كان يحاول بكل جهده أن يكسب ودها وحبها ... لم يدخر وسعاً إلا
وحاول التقرب منها ... وهي ... كانت في الواقع تساعده على ازالة جميع
الحواجز التي تفصل بينهما .

— آه ... ياطفلي ماذا سأفعل .

ثم إعداد الحمام ... شاهدت مات يعود إلى الغرفة ويتجه إليها .

ونهضت مسرعة . إلا أنه أجلسها مرة أخرى .

— لقد نسيت واحدة ... (انتزع أحد الدبابيس العالقة في شعرها) أحب شعرك هكذا . إنه مغرٍ جداً .

ابتسم لها عبر المرآة .

— هيا أيتها الأم الصغيرة ... حمامك جاهز ... بعد ذلك أريد فطوري . (قبلها على رأسها وقربها منه)

التقت عيونهما ... ظهرت في عينيها الشكوك والخوف .

وفي عينيه الدفء و ... الحب .

كان الأمر أسهل على الطاولة حيث شاركتهم كات .

تحدثوا جميعاً في أمور كثيرة . حيث لا ذكريات ولا كلمات ذات معانٍ مزدوجة .

تحدث مات حول تجربته الأخيرة . وقام باضحاكهما بحديثه عن بعض المواقف التي كانت تثير القلق في حينها . بدا ذلك غريباً خاصة وأنه كان يتحدث عن أمور خطيرة وصعبة في ذلك الوقت .

— ماذا كنتِ تفعلين خلال الأشهر القليلة الماضية ... بالإضافة إلى تنمية طفلي .

غزت الحمرة وجه آنا ... وأخذت تشرح له عن خطتها هي

ولوسي في توسيع أعمالهما

— وهل هذا ماتريدانه ؟ (سألها)

— نعم ... أظن أننا قطعنا شوطاً كبيراً وفقاً لامكانياتنا .

ومن المحتمل أن نفتح محلاً آخر في يورك .

— وهل ستوفقين بين هذه الأعمال والطفل عندما يأتي ؟

— بالطبع ... فأنا اعمل في البيت على كل الأحوال وبإمكاني أن آخذ الطفل الى المحل أيضاً ... ليس هناك من مشكلة .

— لقد أعددت وخططت لكل شيء على ماأرى ؟ .

— نعم ... قدر الإمكان .

— حسناً ... عليَّ أن أذهب إلى عملي .. أترك لكم الصحون .

— حسناً جدتي (تمنت ألا تتركهما ولكن)

كان يجب أن يبقيا لوحدهما ... أن يتحدثا وقد فعلت جدتها خيراً .

تنهدت ونظرت إلى ماثيو وهي تعرف ماذا سيأتي بعد ذلك .

— لم أكن بإمكاني أن أجلس لأندب حظي مات ...

— لا ... بالطبع لا ... هل لديك المال الكافي لهذه المغامرة ؟

— تقريباً ... مع قليل من النقود من هنا وهناك .

— لم تستعملي ذلك الشيك المصرف الذي تركته لك ؟

— لا ... لم أستعمله . هل كنت تتصور أنني سأفعل . خاصة والظروف التي كنت أمر بها ؟

ـ كانت غلطة مني ... ولكني كنت أود أن أتأكد من أنك لن تكوني بحاجة إلى أي شيء أثناء غيابي . ولكني لاحظت فيما بعد أن تصرفي لم يكن حكيماً ... غلطة أخرى .. أليس كذلك ؟

ـ ليس هناك من أخطاء فحسب بين الأصدقاء .

وضع يده على يدها

ـ أصدقاء آنا ... ؟ نحن أكثر من أصدقاء .

نظرت إلى يده الكبيرة الواثقة .

ـ دعنا نأخذ الأمور خطوة خطوة مات .

ـ حسناً .... كما تريدين . (نهض واتجه إليها) .

ـ إذن دعينا نتبادل قبلة بين الأصدقاء وقبّلها .

ـ هناك أشياء لا تتغير آنا ... الأحاسيس التي كانت بيننا لم تتغير ولم تمت . لايمكنك أن تنكري ذلك . مهما حاولت استطيع أن أرى ذلك من خلال عينيكِ وأشعر به من خلال قبلتنا .

وضع يده على بطنها ...

ـ هذا سيجمعنا إلى الأبد . (وضع هذه عليه وقبله ... بعد شعرا بتحرك الطفل)

وصفت آنا يدها على شعره وبقيت ساكنة .... شعرت بالراحة لوجوده قربها .

ولكن إلى متى ؟ ... لا ... لا يمكنها أن تعطيه ثقتها

ذكرت ذلك لمات قبل أن يذهب .

ـ آه يالهي .... ماسمه هذا ـ ديف .. أرجو أن تبعديه عنا .

ـ لا .. لا استطيع ... ديف ولوسي صديقين .. ولن يغيرك أن تكون لطيفا معه ولو لمرة واحدة .

ـ حسناً ... إذا كنت تعدين على ذلك ... أعدك بذلك .

الكاملة بهذه السرعة ....

غادر إلى لندن بعد العاشرة واعداً إياها بالعودة على العشاء .

تذكرت آنا أن جدتها ستقضي اليوم في الخارج ... كما أنها كانت قد دعت ديف ولوسي على العشاء ... إذن ستكون طوال اليوم لوحدها

الفصل العاشر

شعرت آنا طوال اليوم بالقلق . لم تستطع الامتناع عن التفكير في كيفية حياتها مع مات مرة أخرى . فكرت في العودة الى لندن وتساءلت هل ستتمكن من اتخاذ تلك الخطوة . أما في الوقت الحاضر فلم يكن بإمكانها إلا التفكير في الطفل . اما بعد ذلك .

مستفكر به في حينه .

قامت بإعداد العشاء في وقت مبكر . وبالصدفة كانت النوعية المفضلة لدى مات . على الرغم من أنها لم تقصد ذلك .

قضت يومها متنقلة من غرفة إلى أخرى غير قادرة على التفكير السليم . وجدت نفسها تراقب الطريق بانتظار السيارة السوداء وتضحك من نفسها على غبائها ... حتى لو أنه قاد سيارته كالمجنون فلن يكون في البيت قبل السابعة .

الرابعة ... الخامسة ... السادسة . كانت الساعات تمر بطيئة

وأخيراً حان الوقت لتبديل ثيابها .

قضت وقتاً طويلاً تنظر إلى ثياب الحمل ... ولكن بدون حماس أخيراً اختارت ثوباً أزرق . نظرت إلى نفسها في المرآة .

— سأكون الليلة فيلاً صغيرا أزرق ... يجب أن أواجه الحقيقة لايمكن للمرأة الحامل أن تجمل نفسها وأنت أيتها العزيزة آنا ... وصلت إلى نقطة لايمكنها عمل شيء منه .

مشطت شعرها ... ارتدت حذاءً منخفضاً ... وأخيراً مُرت قليلاً لأن النتيجة لم تكن فاشلة تماماً

— لا بأس ... مات يحبك جميلة .. ألست في وضع يثبت رجولته

ماأن هبطت إلى غرفة الجلوس حتى وجدت جدتها قد أعدت نفسها للخروج .

— أنا ذاهبة ياعزيزتي . ستصل لوسي وديف خلال دقائق وستقضيان وقتاً ممتعاً .

— لاتقلقي جدتي . سأكون بخير ... تمتعي بأمسيتك

سمعت صوت الباب الخارجي بعد ذهاب جدتها . ولم تقاوم الذهاب إلى النافذة لمراقبة الطريق ... ظهرت سيارة ولكنها لم تكن السيارة المنتظرة بل سيارة لوسي الصغيرة .

بدت لوسي أنيقة ورشيقة ... وقد تعطرت بأفضل العطور

سألتها فور دخولها عن مات . أجابتها آنا .

— لم يعد مات بعد . (تنهدت) لا أدري لماذا أحبه

وهو يعمد أغاظتي ... كيف حالك لوسي ؟

— بخير شكراً .

جلست آنا مقابل لوسي .

ـــ لقد وصل مات البارحة .

ـــ صحيح ... حسناً ... وماذا فعلتِ .. هل رميته خارجاً أو أنك رميتِ نفسك بين ذراعيه معلنة أنك سامحته ؟

ـــ لقد تحدثنا ... ولقد مكث الليلة هنا .. في الغرفة الإضافية (أضافت آنا الكلمات الأخيرة بسرعة)

ـــ لقد حزرت ذلك . أيضاً . (نظرت لوسي حولها وكأنها كانت تبحث عن مات وقد اختبأ في مكان ما) أين هو ؟

ـــ لقد اضطر للعودة إلى لندن . ولكنه قال أنه سيكون هنا على العشاء .

ـــ آه ... لهذا تبدين رائعة الجمال الليلة . وهل سيبقى هنا و

ـــ سيقضي هنا ستة أسابيع ... قال إنه يود أن يقضي عطلته هنا... معي .

ـــ هذا أفضل من حالتي على الأقل ... ماذا أقول لك عن ديف . فعلى الرغم من أن حياته كمدرس تقتضي أن يكون دقيقاً في مواعيده إلا أنه لا يصدق أبداً في موعد ... وأجد هذه الصفة مقلقة بالنسبة لرجل المستقبل ... فأنت لاتكونين في أمان مع مثله من الرجال .

وصل ديف بعد ثلث ساعة وقد سبقته اعتذاراته المتتالية

ـــ لقد طلبت من والدي أن أبحث عن القط

ـــ ياإلهي ... ياله من عذر (قالت لوسي بامتعاض)

ـــ تخشى عليه كثيراً اذا خرج ليلاً .

جلسوا حول طاولة العشاء . أما آنا فما برحت تنظر من خلال النافذة بانتظار السيارة السوداء . ومن ثم تنظر إلى المكان الخالي بجانبها والخاصّ بمات

ـــ لقد تأخر ... أليس كذلك ؟ (علق ديف)

ـــ اصمت ديف ...

لم ترضَ آنا عن الخلاف الذي أوشك على الحدوث بينهما .

ضحكت بصوت عالٍ .

ـــ لاتقلقا سيجد لنفسه عذراً مناسباً .. انتظر وبيستر .

ـــ ولكن من المؤكد أنه لن يقول .. أنه كان يبحث عن قطة أمه . (علقت لوسي بمكر)

ـــ اصمتي لوسي ... (نهرها ديف)

كانا وكأنهما اتفقا على عدم ذكر سيرة الأطفال .... إلا أنها لاتستطيع أن تهرب من التفكير فيه ... كيف لا وهي تحمل ذلك الانتفاخ الرهيب أمامها .

بعد الانتهاء من العشاء انتقلا إلى غرفة الجلوس وشربا القهوة ... تحدثا عن أمور كثيرة .. منها أمور تخص المحل ...

أما أنا فقد شعرت بخيبة الأمل بعد أن تأكدت من عدم مجيء مات

ماذا لو أنه قد تعرض لحادث ما ؟

لا ... في هذه الحالة كانوا سيرسلون الشرطة لتخبرهم بأمر الحادث ...

ـــ فيما تفكرين آنا ؟ (سألتها لوسي للمرة الثالثة)

ـــ آسفة ... ماذا قلتِ ؟

استقامت في جلستها في محاولة لتخفيف الألم الذي بدأ منذ أن كانا يتناولان عشاءهما .

لاحظت لوسي الحركة .

ـــ هل أنتِ بخير .. آنا ؟ تبدين غريبة

ـــ لا ... ليس هناك من شيء خطير ألم بسيط في الظهر .

ـــ هل أنتِ متأكدة .

نظر إليها ديف وكأنه خائف من انفجار قنبلة موقوتة في أي لحظة في الغرفة .

ـــ أنا بخير ... توقفا عن ذلك القلق ... الآن .. ماذا تقولان عن المحل .. ؟

تحدثا لفترة من الزمن ... ساد الهدوء خلال تلك الفترة ماعدا الضجة التي كانت تحدثها ساعة جد آنا القديمة الموجودة على حائط الصالة ... أما آنا فقد حاولت تجاهل الألم الذي كان يتزايد كل لحظة وأخرى . إلى أن وصل ألمها لمرحلة لم تعد تستطيع إخفاء آلامها وخوفها .

ـــ ديف ... هل تعتقد أنه بإمكانك نقلي إلى المستشفى ؟

نظر إليها بخوف

ـــ لا تقولي أنك ... هل حان الوقت ... هل هذا صحيح ؟

ـــ قال الطبيب أنه الأسبوع القادم ولكني لم أعد أحتمل أكثر من ذلك .

ـــ هل أنت متأكدة .. ربما اذا وضعت قدميكِ على الأريكة ...

اقترب منها وأمسك يديها محاولاً مساعدتها على رفع قدميها على الأريكة .

ـــ لا تكن غبياً يا ديف (فهزته لوسي وأخذت تبحث في دليل الهاتف عن رقم المستشفى لتخبرهم أنهم في طريقهم إليها)

قام ديف بمساعدة آنا للصعود إلى السيارة .

فجأة تذكرت اللحظات التي سبقت ولادتها السابقة .

تذكرت كيف أنها ركبت سيارة استيلا الفاخرة والى جانبها مات ... نعم كانت قد انتقلت إلى أشلي بارك في الأسبوع الأخير من حملها . وتمت ولادتها في المستشفى الخاص الفاخر الذي أصرت استيلا على ولادتها فيه .

شعرت بتقلص آخر ... أين مات ؟

كان يجب أن يكون هنا ليقف بجانبها .. لقد وعدها بذلك .

ـــ هل أنت بخير ؟ (سألها ديف)

ابتسمت له

ـــ نعم .. أنا بخير شكراً .

ـــ بالطبع هي بخير ... فالأطفال لايستغرق مجيئهم إلا ساعات من الألم (قالت لوسي من بين أسنانها)

ـــ وماذا تعرفين انتِ ... ولم تنجبي أي طفل بعد .

ـــ وغلطة من هذه ؟

كانت السيارة تجرى بسرعة . أصلحت آنا من جلستها

ـــ وأنتما متى تقرران الزواج ؟

كان هناك صمت مفاجيء .

فكرت آنا ... مات يالك من ... أين أنت .

تساقطت دموعها ولكن لم يلاحظها أحد ... فقد كانت السيارة تسبح في الظلام .

زقزق حذاء الممرضة المطاطي على أرض المستشفى المصقول .

بدا الصوت عالياً خاصة وأن المكان كان يعمه السكون

في ذلك الوقت من الليل ... وضعت آنا على كرسي متحرك ودفعته إلى الداخل تصحبها ابتسامة الممرضة المشجعة .

ـــ أرجو أن تصعد إلى الأعلى سيد ...

(لاحظت أنه عمل حقيبة آنا) لاتقلق سيد ...

إلى اللقاء لزوجتك العزيزة .

ـــ إلى اللقاء (لم يجد بداً من الطاعة)

اقتربت منها لوسي .

ـــ حظاً سعيداً ياعزيزتي .

ضغطت الممرضة على زر المصعد . وقبل أن تختفي داخل المصعد قال ديف

قولي لها أنني لست ...

ـــ لاتقلق ياسيد ...

ـــ وايتاكر ... وأنا لست

ـــ لا تخف فالسيدة وايتاكر ستكون بخير وسنهتم بها جيداً .

ـــ أنا السيدة تينانت . (قالت آنا)

ـــ أوه ؟

ـــ نحن لسنا متزوجين (سارع ديف الى القول)

ـــ لا بأس .. فنحن لاندقق في مثل هذه التفاصيل ... وعلى كل حال ... المهم في الموضوع هو الطفل . أليس كذلك ؟

توقف المصعد بنعومة ...

دُفعت آنا إلى دهليز آخر . ووراءها كان يسير ديف قادته الممرضة إلى غرفة الانتظار وأخذت الحقيبة من بين يديه العصبيتين

ـــ استرح هنا سيد تينانت . سأرسل ممرضة لتناديك في الوقت المناسب .

ـــ ولكن .

كانت الممرضة خبيرة في طريقة التعامل مع الآباء المتوترين

ـــ لاتقلق ياعزيزي ... استرخي وستكون بخير .

لم يكن لدى آنا العزم على المجادلة مع الممرضة . فقد خرج الموقف من يديها .... « مسكين ديف » فكرت آنا

ولكن التقلص الذي أصابها لم يدع لها مجالاً للتفكير .

بعد فترة ... وبعد أن أعطيت بعض العقاقير المسكنة . أدركت بعض الأصوات ... ويد ديف تمسك بيدها ... ماليث أن اهتزت عندما أصابتها نوبة من الأوجاع . أغمضت عينيها ... وغابت عن الوجود للحظات أو لدقائق لم تعد تعرف الا أنها عندما فتحت عينيها ... اختلفت العينان اللتان كانتا تنظران إليها . كما كانت اليه التي تمسك بيدها قوية وثابتة ولم تدع لها مجالاً للقلق

ـــ أين كنت ... ؟ همست له .

نزع مات القناع الذي كان على وجهه ... وكلمها .. خُيل لها أنه يقول « أبقار »

ـــ قلتَ لي أنك ستذهب إلى لندن .. ماذا كنت تفعل في ايسل وايت ؟

ـــ الأبقار ... (صح لها) تلك الحيوانات الغبية .

ـــ وماذا عنها ؟

ـــ سأخبرك فيما بعد .

رفعت آنا رأسها عن الوسادة ونظرت حولها باحثة عن ديف

ـــ ماذا فعلتَ بديف ؟

ـــ لم أفعل شيئاً بذلك الشيطان المسكين : أعتقد أنه في غرفة الرجال ... إنه لاينفع لمثل هذه المواقف أليس كذلك ؟

ـــ مسكين ديف ... لن ينسى أبداً ذلك الموقف .

(نظرت الى مات الذي كان يرتدي الزي الأبيض فوق ثيابه)

تبدو وكأنك تمثل دوراً ما ... اعتقدت أنك لن تأتي أبداً .

أراح شعرها الناعم الرطب من جبهتها

ـــ وعدتك أن أكون إلى جانبك لأمسك يدك .

عندما استيقظت لاحظت أن الشمس دخلت الى الغرفة كما سمعت أصوات فناجين الشاي . وبعض الضحكات .

كان بإمكانها أن تتذكر كل شيء بوضوح ... الآلام المبرحة .

والألم الأكبر ومولد طفلها الصغير الدافيء . وذراعي مات اللذين رفعاها لترى الطفل . وصوته الدافيء وهو يقول :

ـــ انه ولد .. آنا .. ولد آخر .. ولدنا

تعلقت به وأخذت تبكي .. كانت دموع الارتياح والفرح .

سمحوا لها بحمل الطفل لفترة بسيطة . بعد ذلك لفوا الطفل بغطاء أزرق ووضعوه بجانبها .

أما مات ... فقد ضمهما معاً بين ذراعيه .

أخذها مات إلى الطاحونة في سيارة أجرة .

أخذت آنا خلال العودة تنظر إلى الشوارع والمحلات والناس وكأنها غابت دهراً كاملاً في المستشفى

نقلت اهتمامها بعد ذلك إلى وجه كريستوفر المغمور داخل الأغطية . كان وجهه مايزال أحمر اللون وبداه الناعمتان تتحركان وكأنهما تستكشفان المكان .

أزاح مات الغطاء عن وجهه ولمس وجه الطفل بنعومة .

ـــ انه يشبهك .

ـــ بل يشبه والدي على ما أعتقد .. ولكنه بالتأكيد لديه شلك فمك .

كان حديثاً سخيفاً ليزيل التوتر الحاصل بينهما ... إلا أنهما مايزالان بحاجة إلى حديث طويل ولكن كيف سيبدأن

لم تتح لهما في المستشفى أية فرصة للحديث .. فأوقات الزيارة كانت دائماً مزدحمة ... جدتها لوسي ، ديف والسيدة وايتاكو صحيح أن مات كان دائماً يجلس بقربها مبتسماً . فخوراً ومؤدباً

آنا كانت تلاحظ ذلك الشعور القلق الذي كان يعانيه وهذا ماأضافها

ـــ لم تقل لي ماذا كنت تفعل في أيسل وايت ؟

ـــ ماذا ؟

ـــ تلك الليلة ... اذكر تماماً . قلت شيئاً عن الأبقار .

بالطبع كنت مخطئة ... فلم تكن لدي القدرة على التركيز .

ضحك مات قائلاً :

ـــ أبقار .. ياعزيزتي تلك التي تعطينا الحليب والجبنة .

ـــ ألا تستطيع التفكير في شيء الى جانب الطعام ؟

وماذا عن الأبقار ؟

ـــ قابلت قطيعاً منها وأنا أقود السيارة عائداً إلى البيت في تلك الليلة . وتفادياً للحادث خرجت عن الطريق ودخلت في بحيرة من الوحل . وغرست الدواليب فيها . لذلك تأخرت .

سرت خمسة أميال حتى وصلت إلى مكان يوجد فيه هاتف .

ـــ وهل أصابك مكروه ؟ .

ـــ لا ... فقط السيارة .

ارتعبشت آنا ..

ـــ دائماً طريقتك تلك في القيادة ... كان من الممكن ان تصاب بالأذى (« أو أن تقتل » فكرت آنا ... وتصورت الموقف لو أنه لم يعد أبداً .

ـــ ولماذا كل هذا القلق الآن ؟ لم يحدث أي أذى ماعدا السيارة . وعلى كل حال تخلصتُ منها فنحن بحاجة الآن إلى سيارة واسعة قليلاً من الخلف ...

نظرت إليه ولكنها لم تعلق بأية كلمة .

سمعت كات وصولهما إلى الطاحونة وهرعت خارجة من معملها ... انحنت لتنظر إلى كريستوفر النائم .

ـــ ها هو هنا أين الحفيد العزيز (قالت آنا)

ـــ لا .. أنتِ بهذا تشعرينني أن عمري مئة عام .

أخذت كات الطفل من ذراعي آنا واتجهت به إلى البيت .

ـــ بعد ساعة أو ساعتين تحين وقت رضعته ... مارأيك في نزهة حول الحديقة .

ـــ ولكن ألا تشعرين بالتعب (سألها بقلق)

ـــ بل أنا بخير .

سارا بصمت . كان اليوم دافئاً والجو يعبق بأريج ازهار الربيع . وأزهار النرجس والأقحوان تنتشر هنا وهناك أما الشمس فقد كانت تعكس أشعتها على النهر فينعكس من المياه المتلألئة نور أخاذ .

أخذت آنا نفساً عميقاً .

ـــ أحب الربيع ... كل شيء فيه جميل . ومنعش .

ـــ بدايات جديدة .... (قال مات بابتسامة)

ـــ أعتقد ذلك . فلا يمكن لشيء أن يكون بشعاً في مثل هذا اليوم .

ـــ لقد عرضت شقة لندن للبيع . وقد أتاني بعض المشترين مارأيكِ ؟... هل تريدين البيع ؟

حدقت فيه .. لم تكن تعرف بما تجيب ... ماذا كان يريدها أن تجيب ؟

فشقة لندن كانت جزءاً من حياتها الماضية

جزءاً من حياتها التي أصبحت بعيدة

ـــ هذا يرجع لك .

ـــ لم أرغب في العيش فيه (توقف ... هل كان يريد القول أنه لايرغب في العيش فيه وحيداً ؟ لم تستطع آنا أن تعرف ذلك .. ولم تسأله .

ـــ من الأفضل إذن أن تبيع الشقة .

ـــ حسناً . سأتصل بالمحامي وأخبره أن يتابع الإجراءات .

كانا قد وصلا إلى ذلك الحائط المنخفض بجانب النهر .

استندا عليه للحظات يحدقان في النهر .

ـــ هناك الأثاث .. يجب أن تفكر ماستفعل به .

ـــ دعنا نتكلم عن ذلك في وقت آخر .

اقترحت عليه آنا وقد شعرت ببعض التعب .

عادا إلى المنزل وقد أصر مات على رفع قدميها على الأريكة ريثما يقوم بإعداد الشاي .

ـــ ناديتُ على كات ولكن أظن أنها ماتزال تعمل .

جلس بجانبها على السجادة .. وتكلما في أشياء عامة مع مراعاة عدم التحدث عن الموضوع الأساسي والأهم في حياتهما .

كان يجلس قريباً منها ... استلقت آنا على الوسائد ونظرت إليه ..

كان مات مايزال شاباً وجذاباً . لقد مضى عليها وقت طويل لم تنظر إليه بمثل ذلك العمق والوضوح بدون أن يتخلل الكره أو الغضب إلى عينيها .

لاحظت الخطوط الصغيرة التي تشكلت حول عينيه .

ولكن الأهم ذلك الخط الواضح بين حاجبيه الذي ظهر في الآونة الأخيرة .

كانت تنظر إليه بإمعان شديد إلى كل جزء من وجهه وانتقلت بنظرها إلى يديه ... يديه القويتين ...

ارتعشت وتحركت بعصبية من تلك الذكريات الجميلة والمؤلمة في آن واحد .

شعر بحركتها وأساء فهمها ... سألها :

ـــ مرتاحة ؟

نظر إلى عينيها للحظات ... اشتعل وجهها خجلاً .. أدارت نظره إلى جهة ثانية .. ماذا لو قرأ أفكارها ؟

ـــ نعم أنا بخير شكراً .

ـــ المزيد من الشاي ؟

ناولته فنجانها بأصابع مرتجفة .

ـــ هل تشعرين بالبرد ؟ ... هل أجلب لك غطاء ؟

ـــ لا ... لايهم ... لا أشعر بالبرد .

كان قربه يزيدها حباً له .

هل سيفاجأ اذا عرف مايدور داخلها ؟ .

ربما ... فالأمهات حديثو الولادة .. لايشعرن بهذه الأحاسيس في العادة .

حاولت أن تركز انتباهها فيما كان يقوله مات .

سمعته يقول شيئاً عن والدته

ـــ آسفة ... عفواً

ـــ اتصلت والدتي هذا الصباح . تريدنا أن نذهب إلى آشلي بارك بأسرع وقت ممكن .

ـــ تريدنا ... ؟ (هذا يعني الرجوع إليه) وماذا قلت لها ؟

ـــ قلت لها أننا سنعلمها بموعد وصولنا فيما بعد

هل كانت ترغب في الذهاب إلى آشلي بارك ؟

تساءلت آنا

نظرت إليه بتمعن .

ـــ مات ... ماهي خططك في الوقت الحاضر ؟

كان من الضروري أن يخبرها عنها .

لم ينظر إليها ولكنه أجابها .

ـــ هذا يعتمد

ـــ على ماذا ؟

ـــ على ماذا تريدين مني أن أفعل

لم تستطع أن ترى وجهه ... لكنها رأت جانباً من وجهه ومن تقلص فكه .. لاحظت أنه استعد لمواجهة رفضها نظرت إليه آنا . كان يجلس ورأسه منحن إلى الأسفل أصابعه ترسم بعصبية دوائر على السجادة تصاعد إحساسها بالحب نحوه ... حب ملأ جو الغرفة . مدت يدها في محاولة للإمساك بيده .

كانت متأكدة أن هذه المرة كانت يجب أن تكون هي البادئة . فعلا يعقل أن يكون هو البادىء دوماً .

ـــ أريدك أن تبقى معي ... أنا بحاجة لك .

نظر إليها غير مصدق ... تابعت قائلة :

ـــ أحبك مات ... أحبك كثيراً .

ركع بجانبها وأخذها بين ذراعيه ... دفن وجهه في شعرها .

ـــ آه .. آنا .. أحبك أيضاً ... أحبك كثيراً .

تعلقت به وكأنها بدون حبه ستذوب وتتلاشى .

إلى الأبد .

ـــ آه .. مات (تمتمت) كم كنا من غبيين ... أضعنا الكثير من الوقت .

ـــ أعرف . (نظر في عينيها) أحبك آنا .. لم أدرك ذلك إلا عندما شعرت أنني أفقدك .

ـــ أنا بحاجة إليك مات

كانت هناك دموع على وجنتيها مسحهما براحة يده

ـــ لقد جرحت كرامتي عندما تركتين ... ولكني أدركت مقدار أهميتك عندي ... لقد أخذت كل السعادة والنور من حياتي ... أنت الحياة بالنسبة لي .

ـــ آه آنا ... كنت وحيداً بدونك

ـــ أعرف ... أعرف .

كانت القرية تبعد قليلاً عن كروس وايت وهي تتألف من بعض البيوت وكنيسة بالقرب من الكنيسة كانت لائحة تقول (للبيع)

اقترب مات ممسكاً بيد آنا الى البوابة ودخلا عبر ممر حجري إلى واجهة البيت .

ـــ إنه جميل .

كانت تنظر إلى البيت الذي تحيطه الأشجار من كل جهة والنوافذ العريضة المطلة على الحديقة المصورة .

ـــ أنتظري الى أن ندخل ونرى . (قال مات)

فتح الباب وسمح لها بالدخول أولاً .

أمسكت أنفاسها لدى دخولها إلى الصالة المزينة بديكورات رائعة .

نظرت إلى النوافذ العريضة التي كانت تسمح بدخول الشمس إلى الصالة .

وقفت آنا للحظات تمعن النظر فيما حولها .

ـ هل يمكننا أن ..

ـ يعجبك إذن ؟

ـ انه رائع .. ولكن هل يمكننا ان نشتريه ونشتري مكتبك في ليدز .

ـ بالطبع ... بعد أن بيع شقتنا في لندن .. طبعا إذا كان هذا ماتريدينه .

تنهدت آنا ... تصورت حياتهما معاً في ذلك البيت الجميل . تصورت أطفالهما يلعبون في الحديقة الواسعة ... تصورت نفسها ومات يكبران ويقضيان عمريهما فيه : مدت يدها تحاول الامساك بذراعه ... كانت دائما في حاجة الى الشعور بقربه منها ...

ـ إنه تماماً ماتصورت وما أريد

أخذها بين ذراعيه وحاول تقبيلها ...

ـ دعينا نلقي نظرة في الطابق العلوي .

ـ هل يوجد أحد هنا ؟ سمعا صوتاً قادماً من الباب الخارجي للبيت .

توقفا عند الدرجة السفلية للدرج المؤدي إلى الطابق العلوي .

دخل صاحب البيت إلى الصالة . ونظر إليهما .

ـ آه .. ها أنتما هنا ...

ولم يفهم لماذا كانا يضحكان .

*****